أثر خطبة حجة الوداع
في تعزيز الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي

إعداد

أ .د / فتحي عبد الرحمن الحوفي

أستاذ العقيدة الإسلامية بالجامعة القاسمية

الإمارات العربية المتحدة

من ٧١ إلى ١٣٠

The Impact Of The Farewell Sermon On Promoting Human Unity And Social Peace

Dr/Fathi Abdul Rahman Al-Hofi

Professor of Islamic doctrine at Al Qasimia University- United Arab Emirates

أثر خطبة حجة الوداع في تعزيز الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي.

فتحي عبد الرحمن الحوفي
قسم العقيدة الإسلامية بالجامعة القاسمية، الإمارات العربية المتحدة.
البريد الإلكتروني:fattia@alqasimia.ac.ae

ملخص البحث:

حفلت مصادر السنة النبوية بتدوين خطب النبي ﷺ، وقد آتاه الله تعالى جوامع الكلم مع جمال البيان، وفصاحة اللسان، وحسن الإفهام، وصدق المعاني، وإخلاص النصح، وعموم الإرشاد.

وتعد خطبة حجة الوداع من الخطب الجامعة التي أرسى فيها النبي ﷺ معالم هذا الدين، وحدد لهذه الأمة هويتها وشخصيتها، وبين مميزاتها وخصائصها عن سائر الأمم الأخرى، فعظَّم شأن الدماء والأموال والأعراض، وأبطل كل ما هو من أمر الجاهلية، وأوصى بالنساء خيراً، وأمر بالتمسك بكتاب الله ﷻ وبسنته ﷺ، فإن بهم النجاة والفوز في الدنيا والآخرة.

فقد وقف سيد المرسلين ﷺ في حجة الوداع يعلن حقوق الإنسان، ويقرر مبادئ السلام، وينشر الاخوة والعدالة والمساواة بين الناس.

في هذا البحث سبر لأغوار خطبة حجة الوداع، وبيان ما تضمنته من قواعد أساسية في تعزيز الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي.

تهدف الدراسة إلى تأكيد أهمية السنة النبوية وبيان أثرها في تعزيز الوحدة الانسانية والسلم المجتمعي.

كما تهدف إلى استجلاء معالم المنهج النبوي وشموليته في تعزيز الوحدة الانسانية والسلم المجتمعي، حيث ركزت على معالجة أعظم شؤون الدنيا وقضايا الواقع التي تمس حياة الناس، ومن ذلك: حرمة الأموال والدماء والأعراض، والحرص على تحقيق العدل والمساواة وحقن الدماء، وبيان حق الرجل على المرأة وحق المرأة على الرجل، وبيان حق المسلم على أخيه المسلم، ورسمت أطر وملامح علاقة المسلم بنفسه، وبربه، وبمجتمعه الصغير (الأسرة)، وبمجتمعه الكبير على المستوى الإنساني المحلى والعالمي.

ومن منهج الدراسة التي اعتمدت عليها المنهج الوصفي التحليلي، والالتزام بالإجراءات البحثية في العزو والتوثيق، والجمع بين المصادر الأصيلة والمراجع المعتبرة.

ومن أبرز نتائج الدراسة: عظم الدور الذي تقوم به السنة النبوية في تعزيز الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي.، أهمية خطبة حجة الوداع ودورها البارز في تعزيز الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي، شمولية خطبة الوداع في معالجتها لقضايا الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية؛ حجة الوداع؛ الوحدة الإنسانية؛ السلم المجتمعي.

The Impact Of The Farewell Sermon On Promoting Human Unity And Social Peace.

Fathi Abdul Rahman Al-Hofi

Department of Islamic Theology, Al-Qasimia University, United Arab Emirates.
Email: fattia@alqasimia.ac.ae

Abstract:
The sources of the Prophetic Sunnah are rich with the recording of the sermons of the Prophet, whom Allah endowed with concise yet comprehensive speech, eloquence, clarity of expression, truthfulness of meaning, sincerity of counsel, and universality of guidance. Among the most comprehensive of these sermons is the Farewell Sermon, in which the Prophet laid down the foundations of this religion, defined the identity and character of this nation, and clarified its distinctive features in contrast to other nations. In it, he exalted the sanctity of life, property, and honor; abolished all remnants of pre-Islamic ignorance; enjoined kindness toward women; and commanded adherence to the Book of Allah and his Sunnah, for therein lies salvation and success in this world and the Hereafter.
In his Farewell Sermon, the Master of Messengers proclaimed human rights, affirmed the principles of peace, and spread the values of brotherhood, justice, and equality among mankind.
This study explores the depths of the Farewell Sermon and highlights the fundamental principles it contains for strengthening human unity and social peace.
The study aims to affirm the importance of the Prophetic Sunnah and to demonstrate its impact on promoting human unity and social peace.
It also seeks to shed light on the features and comprehensiveness of the Prophetic methodology in reinforcing human unity and societal peace, as it addressed major worldly affairs and pressing realities that directly affect people's lives—such as the sanctity of property, lives, and honor; the pursuit of justice, equality, and the prevention of bloodshed; clarification of mutual rights between men and women; the rights of a Muslim toward his fellow Muslim; and the outlining of the believer's relationship with himself, with his Lord, with his immediate community (the family), and with the broader community at both local and global levels.
The research follows a descriptive-analytical approach, adhering to academic standards in referencing and documentation, and combining original sources with reliable references.
Key Findings:
- The significant role of the Prophetic Sunnah in strengthening human unity and social peace.
- The importance of the Farewell Sermon and its prominent role in enhancing human unity and social peace.
- The comprehensiveness of the Farewell Sermon in addressing issues of human unity and societal peace.

Keywords: Prophetic Sunnah ; Farewell Sermon; Human Unity ; Social Peace.

المقدمة:

حمدا لله وكفى، وصلاة وسلاما على عباده الذين اصطفى، ومن على دربهم سار واقتفى إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

أهمية الموضوع:

إن السنة النبوية هي المصدر الثاني للدين الإسلامي عقيدة وشريعة وأخلاقا بعد القرآن الكريم، وقد أولت السنة النبوية عنايتها برسم ملامح الوحدة الإنسانية وتحقيق السلم المجتمعي، وحياة الرسول ﷺ وأقواله وتطبيقاته العملية خير شاهد على ذلك.

ولا شك أن السنة النبوية المطهرة بحر زاخر يفيض بالعلوم والمعارف والتوجيهات التي تناولت الجوانب الرئيسة وما يتفرع عنها مما له علاقة بتحقيق إنسانية الإنسان وتمكينه من العيش بأمن وسلام وعز وكرامة، ولذا يحتاج التأمل والتدبر في مضامينها الإنسانية إلى تخصيص أحد جوانبها الفرعية، وبحثنا يحاول الغوص في واحدة من أهم خطب النبي ﷺ وهي خطبة حجة الوداع، وفضلا عن أهميتها التي سندلف إليها بعد المقدمة فإنها جمعت بين القول والعمل، فتجلى فيها الجانب الدعوي من خلال الخطابة وما لها من سحر وبيان في إقناع العقول واستمالة القلوب، وحملها للمدعوين على الإذعان لما جاء فيها، كما تجلى فيها عامل التأسي والاقتداء بشخص النبي ﷺ حين دعا إلى وضع كل أمور الجاهلية ودماءها تحت قدمه، وبدأ في وضع دماء الجاهلية وثاراتها التي كانت مبعث عدم الاستقرار وشرارة اشتعال النار بينهم؛ فبدأ في وضعها بأهل بيته، فوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كما أنه حين دعا إلى وضع ربا الجاهلية بدأ بربا عمه العباس بن عبد المطلب، فعل ذلك أمام الناس وهو في موقف الخطيب ليختط القدوة العملية، وتلك أنجح وسيلة للقدوة، وأحكم سياسة لتنفيذ ما يراه الحاكم أو المشرع لشريعة أن يبدأ بالتنفيذ في خاصته وذويه.

مشكلة البحث:

ابتليت الإنسانية بفئام من البشر لا يكفون عن نفث سمومهم بنشر العديد من الأفكار المشبوهة والمغلوطة تحت دعوى حرية الرأي والتعبير، في

محاولة لتشويه صورة الإسلام، فيسيئون عن عمد للإسلام ونبيه وأهله، ولا يجدون غضاضة في تناقضهم مع واقع الشعارات التي يحملونها ولا يعون مضامينها، حتى أنهم إذا أعلن المسلمون رفضهم الإساءة لنبيهم من باب حرية الرأي، التي يزعمونها سلقوهم بألسنة حداد، وصبوا عليهم ألوانا شتى من تهمهم المعلبة، كالجهل والتخلف والرجعية والإرهاب والتطرف، وهنا يجد المسلم الغيور على دينه والملتزم بأخلاقياته وتوجيهاته نفسه في صراع ينفطر منه قلبه بين محبته لدينه ومقدساته، ونبيه وسنته، ووجوب الدفاع عن دينه؛ وبين أخلاقيات دينه وتوجيهاته المتكررة الداعية إلى التسامح والسلام والعفو والصفح عن المسيئين؛ علهم يفيقون وإلى دين الله يهتدون.

ومن هنا جاء هذا البحث بعنوان: **(أثر خطبة حجة الوداع في تعزيز الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي)** مساهمة في تقديم رسالة إلى العالم أجمع يؤكد من خلالها عالمية رسالة الإسلام وعالمية ما تحمله مبادئ تعزز الوحدة الإنسانية وتنمي من السلم المجتمعي، ونبرز من خلال هذه الورقة العلمية طرفا من الجوانب المشرقة في سنة النبي ﷺ – وكلها مشرقة – والتي تستضيء الإنسانية كلها بنور توجيهاتها التي أعلت من كرامة الإنسان، وأرست مبادئ التعايش السلمي، مستوعبة كل البشر دون تمايز للأبيض على الأسود، ودون تفرقة بين ذكر وأنثى، ودون عنصرية وعصبية وانحياز بين آري وسامي، ودون تقديم للغني على الفقير أو للقوي على الضعيف، في شمولية تسمو فوق الفوارق الطبيعية، وفوق فوارق الألوان والأعراف والديانات، وقد أبطلت السنة النبوية كل ما هو من أمر الجاهلية، وأطاحت بالنعرات والعصبيات الفاسدة المفسدة التي تفل الروابط وتفرق الكلمة وتتسع بها الصدوع، وأبطلت مذاهبها في إنساء الأشهر مناهضة لشريعة الله، وقد جاءت خطبة حجة الوداع حاملة بين طياتها كل هذه المعاني وغيرها، وتعد مصدرا أساس لكل الأسس التي تقوم عليها الوحدة الإنسانية وتعزز من السلم المجتمعي.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تأكيد أهمية السنة النبوية وبيان أثرها في تعزيز الوحدة الانسانية والسلم المجتمعي.

كما تهدف إلى استجلاء معالم المنهج النبوي وشموليته في تعزيز الوحدة الانسانية والسلم المجتمعي، حيث ركزت على معالجة أعظم شؤون الدنيا وقضايا الواقع التي تمس حياة الناس، ومن ذلك: حرمة الأموال والدماء والأعراض، والحرص على تحقيق العدل والمساواة وحقن الدماء، وبيان حق الرجل على المرأة وحق المرأة على الرجل، وبيان حق المسلم على أخيه المسلم، ورسمت أطر وملامح الوحدة الإنسانية، وأرست قواعد السلم المجتمعي، على المستوى الإنساني المحلى والعالمي. كما تهدف إلى التأكيد على أهمية دور الخطاب الشرعي في غرس القيم الإنسانية، وفاعليته في تعزيز الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي.

منهجية الدراسة:

المنهج الوصفي التحليلي، والالتزام بالإجراءات البحثية في العزو والتوثيق، والجمع بين المصادر الأصيلة والمراجع المعتبرة.

خطة الدراسة:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: إطلالة على مصطلحات البحث:

المبحث الثاني: أثر خطبة حجة الوداع في تعزيز الوحدة الإنسانية.

المبحث الثالث: أثر خطبة حجة الوداع في تعزيز السلم المجتمعي.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

وأخيرا أود أن أقول: الكمال لله وحده والعصمة لأنبيائه ورسله، وملابسة القصور من لوازم خلقه، أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل صالحا، ولوجهه خالصا، وألا يجعل لأحد سواه فيه حظا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول
إطلالة على مصطلحات البحث

١- خطبة حجة الوداع:

الخطابة من أهم الوسائل الدعوية والتعليمية والتوجيهية، ومن أهم فنون القول، ولها من القدرة على إقناع العقول واستمالة القلوب وقوة التأثير والفاعلية ما ليس لغيرها من أفانين القول، يُحقق عن طريقها ما لا يحقق بغيرها.

وإن أحسن الخطب وأوفاها بياناً وأتمها نصحاً خطبُ نبينا الكريم ﷺ فقد جمع الله له في خطبه المنيفة جمال البيان وحسن الإفهام وقلة ألفاظ الكلام، بل ما سمع قط كلامُ أحد من البشر أعمُّ نفعاً، ولا أفصح معنى، ولا أصدق لفظاً، ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أوفى نصحاً من كلامه الشريف ﷺ، وقد آتاه الله جوامع الكلم وخصه ببدائع الحكم [١].

وخطب حجة الوداع ومواعظه من الخطب التي ودَّع النبي ﷺ فيها المسلمين، ووجهها لإنسان كل زمان ومكان ولغة وقوم ولون، وهي ذاتُ شأنٍ عظيمٍ، ومكانةٍ ساميةٍ؛ فقد قرَّرَ فيها عليه الصلاة والسلام قواعدَ الإسلامِ وأصول الدين، ومَجامِعَ الخيرِ، ومكارمَ الأخلاق، بكلماتٍ بليغات، وعِظاتٍ نافعات، فقد أرسى فيها النبي ﷺ معالم هذا الدين وقواعد العدل، وحدد لهذه الأمة هويتها وشخصيتها، وبين مميزاتها وخصائصها عن سائر الأمم الأخرى، فعظَّم شأن الدماء والأموال والأعراض، وأبطل كل ما هو من أمر الجاهلية، وأطاح بالنعرات والعصبيات الفاشلة الفاسدة المفسدة التي تَفِلُّ الروابط وتفرق الكلمة وتتسع بها الصدوع، وأعلن فيها إهدار قضايا فردية في الدماء والقضايا الاقتصادية كانت مثار الشغب والقلاقل في الجاهلية، وأبطل مذاهبها في إنساء الأشهر مناهضة لشريعة الله، وأوصى بالنساء خيراً، وأمر بالتمسك بالكتاب والسنة، فإن به النجاة والفوز في الدنيا والآخرة. هنالك وقف سيد العالم ﷺ في

---

[١] البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، خطب ومواعظ من حجة الوداع، ص ٩.

حجة الوداع يعلن حقوق الإنسان، ويقرر مبادئ السلام، وينشر الأخوة والعدالة والمساواة بين الناس، فقد راعت إنسانية الإنسان بجدارة واهتمام [١].

الأمر الذي أثار انتباه الكاتب والأديب البريطاني (هربرت جورج ولز) وجعله يقرر أن محمدا ﷺ ألقى على شعبه في حجة الوداع موعظة عظيمة، أول فقرة فيها تجرف أمامها كل ما بين المسلمين من نهب وسلب، ومن ثارات ودماء، وتجعل الفقرة الأخيرة منها الزنجي المؤمن عدلا مساويا للخليفة، أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتفتح في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة، ممكنة التنفيذ، أنشأت مجتمعا أكثر تحررا من أي مجتمع آخر سبقه، مما غمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي [٢].

فهي من أعظم الوثائق التاريخية التي أرست ركائز المجتمع الإسلامي خصوصا، وجاءت دستورا للإنسانية جمعاء تستقي منها قيم حضارية وأبعاد إنسانية، لا تستثني أحدا من البشر، تتجاوز الأبعاد الزمانية والمكانية التي قيلت فيها، لاشتمالها على جوامع الكلم وأصول الأحكام في السياسة والاقتصاد والأسرة والأخلاق والعلاقات العامة والنظام الاجتماعي [٣].

ومن ثم أمكن القول بأنه إذا كانت وثيقة المدينة المنورة بمثابة أول إعلان دستوري من نوعه في التاريخ الإنساني؛ فإن خطبة حجة الوداع أول إعلان لحقوق الإنسان في التاريخ الإنساني [٤].

---

[١] يراجع: خياط، عبد الله، مواقف حاسمة في السيرة النبوية، خطبة حجة الوداع، مجلة الحج والعمرة، ج ٦، ص ٣٣٧، ويراجع: الحقيل، إبراهيم بن محمد، خطب النبي صلي الله عليه وسلم في حجة الوداع، مقال منشور بموقع: طريق الإسلام، روجعت بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ٢٠٢٤م، رابط المقال:http://iswy.co/e10193

[٢] ي ه. ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية، ٣/ ٨٠١، ٨٠٢.

[٣] بوشعالة، فتحية محمد، الأبعاد الحضارية والإنسانية في الخطاب النبوي من خلال خطبة حجة الوداع، م ٢١، ع ٢، ص ٦٧.

[٤] الطالبي، محمد، دستور المدينة، مقال بمجلة الهداية، تصدرها إدارة الشعائر الدينية بتونس، ع ٣، ص ٢١.

وبالجملة فهي خطبة ترسم سياسة إسلامية واضحة المعالم، من حق كل مؤتمر إسلامي أو ندوة علمية أن يجعلها أساسا لتخطيطه وتنظيمه وقاعدة لمنهج إصلاحه [١].

وبتتبع ما جاء في مصادر السنة من نصوص عرضت لخطب حجة الوداع يتبين أنها لم ترد مجتمعة في موضع واحد، فقد وردت منثورة في كثير من كتب السنة، ويظهر من سياقها أنها ثلاث خطب؛ الأولى: في يوم عرفة بعرفة. والثانية: في يوم النحر بمنى. والثالثة: في أوسط أيام التشريق بمنى.

وبحثنا يحاول سبر أغوار خطب النبيﷺ في حجة الوداع ينهل من هديها في تعزيز الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي. وفيما يأتي نقف على مفهوم الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي، قبل الوقوف على ما تحمله خطب حجة الوداع من توجيهات تسهم في تحقيقهما وتعزيز وجودهما.

٢- مفهوم الوحدة الإنسانية:

الوحدة: تدل على الانفراد، كما تطلق تجوزا على الاتحاد بعد الانفراد، يقول أبو البقاء الكفوي: " الوحدة: كون الشيء بحيث لا ينقسم ... وقد تطلق بإزاء التعدد والكثرة" [٢].

والإنسانية: نسبة إلى الإنسان، وهي: مجموع الخصائص المشتركة بين أفراد الإنسان التي يتمتعون بها دون غيرهم من أنواع الكائنات الحية الأخرى [٣].

٣- مفهوم السلم الاجتماعي:

السِّلم: مشتق من الفعل سلم المتضمن معاني الصحة والعافية والخلو من الآفات الظاهرة والباطنة [٤].

---

[١] يراجع: خياط، عبد الله، مواقف حاسمة في السيرة النبوية، خطبة حجة الوداع، ص ٣٣٧.

[٢] الكفوي، أبو البقاء الحنفي الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص ٩٣١.

[٣] يراجع: عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/ ١٣٠.، ويراجع: الصوافي، سعيد بن راشد، الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم، ص ٢٩.

[٤] يراجع: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٩٠، و: الأصفهانى، الراغب، المفردات في غريب القرآنـــ، ص ٤٢١.

لذا قيل في تعريفه بأنه: التوافق بين الفرد والمجتمع، والتعري من الآفات الظاهرة والباطنة، بما يؤدي إلى تقدمه واذدهاره [١].

والمجتمع: مأخوذ من الاجتماع والالتقاء، ويطلق على جماعة من الناس بينهم روابط ومصالح وعادات وتقاليد مشتركة وتحكمهم قوانين واحدة[٢].

والسلم المجتمعي هو: وجود حالة السلام والوئام الإنساني والمصالحة بين جميع المكونات السكانية والقوى الاجتماعية في ظل غياب كل مظاهر العنف والقهر والخوف في المجتمع، كعنصر أساسي من عناصر تقدم وتطور بناء المجتمع وأفراده [٣].

ولا شك أن السلم المجتمعي "يعبر عن حالة اجتماعية لها العديد من المستويات، والتي تتضمن السلام على مستوى العائلة، وعلى مستوى المجتمع، ثم على المستوى الإقليمي والدولي، كما يتناول السلام الداخلي، أي السلام مع النفس، وهذا النوع ضروري من أجل خلق عالم سلمي" [٤].

---

[١] يراجع: عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/ ٣٩٦.

[٢] يراجع: عمر، عبد الحي عبد القاسم، وآخرون، دعائم السلام الاجتماعي في الأسرة المسلمة، ع ١٤، ٢٠١٦م، ٢٣٨.

[٣] يراجع: عمر، عبد الحي عبد القاسم، دعائم السلام الاجتماعي في الأسرة المسلمة، ع ١٤، ص ٢٣٨. ويراجع: ناجي، علاء، دور التعددية في تعزيز السلم الاجتماعي، مقال منشور بشبكة النبأ المعلوماتية، روجع بتاريخ: ١٩/ ١٠/ ٢٠٢٤م، رابط المقال: https://annabaa.org/arabic/studies/11463 ، ويراجع: عباس، ناجي، السلم الاجتماعي مفهومه ومقوماته، مقال منشور بمركز عدل لحقوق الإنسان، روجع بتاريخ: ١٩/ ١٠/ ٢٠٢٤م، رابط المقال: https://adelhr.org/portal/5848

[٤] يراجع: عمر، عبد الحي عبد القاسم، دعائم السلام الاجتماعي في الأسرة المسلمة، ع ١٤، ص ٢٣٨.

المبحث الثاني
أثر خطبة حجة الوداع في تعزيز الوحدة الإنسانية.

المتتبع لنصوص خطب حجة الوداع يدرك بجلاء مدى اهتمامها بتقرير مبدأ الوحدة الإنسانية، وذلك من عدة وجوه على النحو الآتي:

أولا- التأكيد على وحدانية الألوهية ووحدانية الأصل لجميع الناس:

كان لخطب حجة الوداع أثرها البالغ في تأكيد وترسيخ دعائم الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي، وقد أعلن النبي ﷺ للإنسانية وحدة الدين مقرونا بوحدة الأصل، وكشف عن ثمار ونتاج هذه الوحدة وهو المساواة بين أفراد الإنسان دون تمايز بينهم بسبب النسب والعصبيات البغيضة، أو تفاضل بسبب اللون والعنصرية والنعرات الطائفية، وأكد على أن ميزان التفاضل الحقيقي وميدان المنافسة راجع إلى مكانة الدين في نفوس الناس اعتقادا وعملا وسلوكا وهو تقوى الله ﷻ، فعَنْ أَبِي نَضْرَةَ ﷺ قال: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «**يَا أَيُّها النَّاسُ: أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ**، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ على عَجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، ولا أَسْوَدَ على أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: «بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ» [1].

فربُّ الناس واحد مهما اختلفت الأجناس والألوان والأوطان، وأصلهم واحد وهو آدم عليه السلام أبو البشر، وآدم من تراب. كما أن الدين فطرة إنسانية مقرونة بوجود الإنسان لم يستسن منها أحد، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠].**

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، بَاب حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (١٢١٨).

وقد أكدت السنة النبوية هذه الحقيقة، وهذا واضح في أحاديث كثيرة، لاسيما حديث: **«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»** [(١)].

فالدين هو الركيزة الأساسية والدعامة الحقيقة بل هو حجر الأساس في تحقيق الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي.

ثانيا- يتفرع عن وحدة الأصل والدين صور أخرى عديدة، من أهمها ما يأتي:

١. وحدة التكوين المادي والروحي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩﴾ [السجدة: ٧- ٩]. "وهذان الجانبان هما المكونان للكيان الإنساني، فلا انفكاك لأحدهما عن الآخر، وينبغي على الإنسان أن يقدر هذين الجانبين المكونين لكيانه الإنساني، حتى لا يظلم إنسانيته، بحيث ينظر في تطلعاته إلى الجوانب المادية المتمثلة في رغائب الدنيا وشهواتها، ويترك الجوانب الروحية التي تقربه إلى خالقه، وتجعل منه إنسانا متوازنا في سلوكياته، موفقا بين رغباته المادية وتطلعاته الروحية"[(٢)].

٢. وحدة التكريم الإنساني:

فهناك إطار أسمى للوحدة وهو وحدة التكريم الإنساني من الله تعالى لكل أفراد بني الإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ۝٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقد استغرق التكريم جميع أفراد البشر، دون تمايز للأبيض على الأسود ودون تفرقة بين ذكر وأنثى، دون عنصرية وعصبية وانحياز بين آري وسامي، دون تقديم للغني على الفقير أو للقوي على الضعيف،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، {بَابُ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}، رقم (٤٧٧٥).

(٢) الصوافي، سعيد بن راشد، الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم، ص ٨٩.

فالتعبير في الآية الكريمة بكلمة (بني آدم) يدل على هذا التعميم الذي يخترق الفوارق الطبيعية، وفوارق الألوان والأعراف والديانات، وهذه الكرامة تعد أحد الأسس التي تقوم عليها الوحدة الإنسانية [١].

ولقد قضت السنة النبوية المطهرة على بقايا الجاهلية والعنصرية البغيضة والاستعلاء والتفرقة بين الناس بسبب الجنس أو اللون، ولا أدل على ذلك من شدة لهجة عتاب النبي ﷺ لأبي ذر الغفاري ﷺ الذي عيَّر رجلا بأمه كونها من الأعاجم وكونها سوداء، ووصفِه له بأنه فيه جاهلية، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدًا، فَقُلْتُ: لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْتَهُ كَانَتْ حُلَّةً، وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ، فَقَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَنِلْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي: (أَسَابَبْتَ فُلَانًا). قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: (أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ). قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: (إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ) [٢].

كما أكدت السنة النبوية أنه لا فرق بين دين ودين في تكريم الإنسان، فلما مرت بالنبي جنازة ليهودي قام لها واقفا تكريما، فقال له بعض أصحابه: إنها ليهودي، فأجابهم رسول الإنسانية ﷺ متعجبا من سؤالهم بقوله: أليست نفسا. فعَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى؛ أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ. فَمَرَّتْ بِهِمَا جَنَازَةٌ. فَقَامَا. فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ. فَقَالَا: إِنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ. فقيل: إنه يهودي. فقال "أليست نفسا"[٣].

ومن تكريم الله للإنسان أن الله خلقه في أحسن تقويم، وأسجد له ملائكته، ومنحه العقل الذي فضله به وميزه عن غيره من المخلوقات، وزينه بنور العلم ومعرفة الأسماء بل بالقدرة على المعرفة والاستنباط لشتى العلوم والمعارف، وأهلَّه لقبول عطاءات الله فجعله محلا للعلم اللدني.

ولا شك أن هذه الخاصية التي وهبها الله لكل إنسان يجب أن تستثمر لصالح الإنسانية، وذلك بصونها عن كل ما يؤدي إلى الانحراف بها عن جادة

---

[١] السابق، المرجع نفسه، يراجع: ص ٩٠، ٩١.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَاب وَاللَّعْنِ، رقم (٥٧٠٣).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، بَاب الْقِيَامِ لِلْجَنَازَةِ، رقم (٩٦٠)

الصواب، واستثمارها استثمارا إيجابيا من شأنه الارتقاء بالإنسانية إلى مدارك الكمال الإنساني، لا لتحطيم مقدرات الكون.

ولا شك أن صور هدر القيم الإنسانية الذي نراه الآن في الحروب والصراعات وما ينتج عنها من صور الدمار راجع إلى عدم إدراك هذه الخاصية بل عن عدم الإيمان الحقيقي بها وبقيمتها [١].

٣. وحدة التسخير الكوني لكل بني الإنسان:

ومن تمام صور التكريم الإنساني أن الله تعالى سخر ما في الكون للإنسانية، وأسبغ عليها نعمه الظاهرة والباطنة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً.. ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: ٢٠]، ولا شك أن هذا التسخير يستوعب كل أجناس البشر، بهدف الارتقاء بالإنسانية وتكريمها دون إذلالها وإهانتها، فما سخر الله تعالى له الكون إلا ليسوده ويسيطر عليه.

٤. وحدة الهدف والغاية:

وتأتي وحدة الغاية والهدف ذروة سنام للوحدة الإنسانية، وهي تحقيق عبودية الإنسان الواحد للإله الواحد الذي منح الإنسان كل هذا التكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والعبودية بمعناها الشامل لا يمكن أن يحققها الإنسان منفردا، فإنها لا تتأتى إلا في ظل الوحدة الإنسانية الشاملة للمجتمع الإنساني، وتحقيق خلافة الله للإنسان في الأرض.

فالعبادة بمعناه الخاص والعام ترقى بإنسانية الإنسان وتسمو بها، فأفراد الإنسان يتوجهون لعبادة رب واحد، خالق واحد، يقفون في صف واحد دون تفرقة وتمايز، يخلصون في التوجه له وحده دون سواه، تتحرر فيها إنسانيتهم من عبودية غير الله، يسمون فيها على ما يتعلق بجاهلية الإنسان بصورها القديمة والمعاصرة، وهذا المعنى حاضر في خطبة النبي ﷺ يوم عرفة في قوله: «**أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ**» [٢].

---

[١] الصوافي، سعيد بن راشد، الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم، يراجع: ص ١٠٢.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، بَاب حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (١٢١٨).

٥. وحدة المصير الإنساني:

أكد النبي ﷺ في خطبة يوم عرفة على وحدة المصير الإنساني، حيث لقاء الناس جميعا لربهم، وسؤال الله تعالى للناس عن رسول الله، ففي مسلم: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ. كِتَابُ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي. فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ " قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ» (١).

كما أكد النَّبِيَّ ﷺ في خطبة يوم النحر على وحدة المصير، حيث لقاء الناس لربهم يوم القيامة وسؤالهم عن أعمالهم، ففي البخاري ومسلم أَنّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**وستلقون ربكم، فسيسألكم عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**» (٢).

ثالثا–عموم توجيه النداء في خطبة الوداع للناس جميعا (أيها الناس):

فقد تكرر النداء في خطبة الوداع بلفظ العموم (أيها الناس) كثيرا بما يقارب العشر مرات بحسب الروايات المختلفة، وهو ما يؤكد مفهوم عالمية الإسلام، ويرسخ لمفهوم الوحدة الإنسانية، فالخطبة لم تفرق بين أحد، والخطاب ليس موجها إلى العرب فقط أو المسلمين وحدهم، بل هو مُوجَّه للبشرية كلِّها، وإن كان المقصود به جموع المخاطبين الحاضرين، إلا أن مدلولها عام يشمل كل الناس على وجه الأرض إلى قيام الساعة، فليس للعربى أن يفتخر على غيره من الأجناس الأخرى، فأصل البشرية واحد يعود إلى سيدنا آدم عليه السلام، وبذلك يكون النبي ﷺ قد قضى على أي نزعة عنصرية قد يدَّعيها البعض لانتمائه إلى جنس معين، تلك النزعة التى أدَّت إلى سبيل الاستعلاء على الغير، ثم تحوَّلت للكراهية والحقد؛ فكانت سببًا في كثير من الفتن والصراعات والحروب. وبالتالي فإنَّه يُمكن وصف حقوق الإنسان الواردة في خطبة حجة الوداع بالعامية، كما هو الحال عليه بالنسبة للحقوق الواردة في الشريعة الإسلامية ذاتها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، بَاب حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي بَاب: حجة الوداع، رقم (٤١٤٤)، ومسلم في صحيحه، كِتَاب الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، بَاب تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ، رقم (١٦٧٩).

فأصل الإنسانية واحد، والقيم الإنسانية واحدة، وحقوق الإنسان واحدة، وبالتالي يجب أن تكون العلاقات الإنسانية قائمة على أساس من الكرامة والأخوة والمحبة والعدل والحرية والسلام [١].

وبعبارة أدق وأوجز: العلاقات الإنسانية يجب أن تكون قائمة على أساس من السلم المجتمعي، **وهو ما يبدو واضحا من خلال النقطة الآتية:**

رابعا- أثر الوحدة الإنسانية في تقرير وتعزيز السلم المجتمعي:

تعد الوحدة الإنسانية بمعانيها الشاملة مقوما أساسيا من مقومات السلم المجتمعي، ويرتبط بها ارتباطا وثيقا، فالناس جميعا أسرة واحدة تجمعهم أبوة واحدة مشتركة، متمثلة في آدم عليه السلام، ولا شك في أن خطاب السنة النبوية في حجة الوداع بوحدة الجنس البشري يُكسب السلم المجتمعي معناه العميق؛ "لأنه يتحول بموجب هذا الخطاب إلى مسألة تكوينية فطرية تتضمنها غريزة وطبيعة المخلوقات والكائنات المتعايشة، وهي الخير والحب والتعاون، وهذه القيم مغروسة في طبيعة الوجود من الخلق الأول. وكل ارتكاس أو تصادم مع هذا الناموس قد يؤدي إلى نتائج خطيرة على البشرية، تتجسد في التمايزات العرقية ونظريات الاستعلاء العنصري، وانتشار النزاعات الأهلية والتطاحنات العرقية"[٢].

ومن هنا أقرت خطبة الوداع مبدأ المساواة تحقيقا للعدالة بين مكونات المجتمع، بغض النظر عن ما بينهم من فوارق، وهو ما يعرف الآن باسم المواطنة، والانتماء إلى أمة معينة في ظل قانون يسود على جميع مكونات المجتمع ولبناته مع اختلاف العرق واللون والجنس واللغة والدين، فالوطن الواحد يشملهم جميعا، فعَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ

---

[١] البوشي، فرج محمد، حقوق الإنسان الأساسية في حجة الوداع، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، م ٥٦، ع ٤، ص ٥٢٦، ٥٢٧، ويراجع: بو شعالة، فتحية محمد، الأبعاد الحضارية والإنسانية في الخطاب النبوي من خلال خطبة حجة الوداع، ص ٧٥.

[٢] بوتشيش، إبراهيم القادري، مقومات السلم المدني وآليات تحصينه دراسة تأصيلية في ضوء السنة النبوية، ضمن بحوث الندوة العلمية الثامنة: السلم المدني في السنة النبوية مقوماته وأبعاده الحضارية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ١/ ٣٧.

وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى» [١].

" نعم نجد في هذا المبدأ الذي استنه رسول الله ﷺ أن البشر جميعا نبتوا من مصدر واحد، وهو آدم وحواء، وأن آدم قد خلق من طين، وبذلك بطلت ادعاءات المدعين الذين يزعمون ثمة تفاضلا بين أصناف الجنس البشري، فالناس من حيث (الناسية) سواء، وإذا كان الأمر كذلك فهم في الحقوق الإنسانية سواء. والناس من حيث (الآدمية) كلهم لآدم، وإذن فالمنطق والعدل يقضي بأنهم ليس بينهم أعلى وأدني [٢]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

والقراءة المتأنية لخطبة حجة الوداع تكشف عما حوته من مبادئ تروم ترسيخ ركائز الأمن النفسي والاجتماعي لكافة مكونات المجتمع، حيث ضمن الرسول بتوجيهاته الواردة في تلك الخطبة حماية كافة الطوائف من أي تدخل تعسفي في خصوصيتها أو أسرارها أو قومها أو ما في ذلك من نظير. كما ضمن حماية أفرادها، وشرفهم، من أي عبث. ونص ﷺ في خطبته على منع أي طائفة من أن تستعلي على طائفة أخرى، أو أن تثري على حساب فقر الآخرين" [٣].

وهو ما يتضح بجلاء في قوله ﷺ: «إِنِ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ. كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا. فِي شَهْرِكُمْ هَذَا. فِي بَلَدِكُمْ هَذَا. أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ. وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ» [٤].

وكما أن الإيمان بالله الواحد يعد المنطلق الأساس في تحقيق الوحدة الإنسانية وتعزيز السلم المجتمعي، فهو أيضا الطريق الآمن لتحقيق الاستقرار والسكينة، وهو السبيل المفضي إلى حب الآخر، والقبول بالعيش المشترك معه، واحترام حقه في الاختلاف، ولذا جعل الرسول الإيمان في أعلى مراتب الأعمال، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده، رقم (٢٣٤٨٩).

[٢] العفيفي، محمد الصادق، خطبة حجة الوداع من المبادئ الإنسانية: الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، مجلة الحج والعمرة، ٨/ ٢٨.

[٣] بوتشيش، إبراهيم القادري، مقومات السلم المدني وآليات تحصينه دراسة تأصيلية في ضوء السنة النبوية، ١/ ٤٧.

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، بَاب حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (١٢١٨).

«الإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ»، قَالَ قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا»، قَالَ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ»، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: «كُفَّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فإنها صدقة منك على نفسك» [١].

ومن هنا اعتبر الإيمان قاعدة الانطلاق الأولى في السنة النبوية لصياغة السلم المجتمعي، وأس الأسس الذي منه ينشأ وينمو حتى يصبح واقعا ينتفع الناس بمزاياه.

فعلى الإنسان أن يدرك بيقين الغاية من خلق الله له، والتي تتلخص في عبادة الله وعمارة الأرض وحفظ النفس والمال والعرض، وهي غايات تتطلب إقامة التعاون والمودة والرحمة بين البشر، واجتماع الناس في ألفة وتفاهم، ومنع وقوع أي صورة من صور العدوان فيما بينهم، وهي بلا شك المعبر الضروري لإقامة السلم المجتمعي وتعزيز وجوده [٢].

فالإيمان بجميع أركانه يعد أقوى الجوانب وأنجعها في ترسيخ مفهوم السلم المجتمعي وتعزيز تطبيقه وممارسته في الواقع؛ لأن الإيمان ملازم للإنسان في جميع أحواله، وهو المؤثر فيه والآمر والناهي له، فيأمر صاحبه بالمعروف ويبعده عن المنكر، فيستحضر مراقبة الله تعالى، ويعلم أن الملائكة يحصون عليه أعماله فيلتزم بما جاء في الكتاب وما دعت إليه السنة من حسن المعاملة والالتزام بالسلم ومقتضياته والابتعاد عن التطرف وإيذاء الناس، وهو يعلم بيقين أنه سيجازى في اليوم الآخر على ما يقدمه من خير أو شر، منطلقا من الرضا بقضاء الله وقدره. فاستحضار الإيمان بجميع أركانه مما يعزز السلم المجتمعي ويضمن بقاءه واستمراره [٣].

وإذا كانت الوحدة الإنسانية ثمرة من ثمار الإيمان، فإن التفرق والاختلاف والاقتتال أثر من آثار الكفر، ومن هنا ركزت خطبة الوداع على خطر الانتكاس والعودة إلى الكفر بالتنافر والتضارب، فقد حذر النبي ﷺ من

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ كَوْنِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، رقم (٨٤).

[٢] يراجع: بوتشيش، إبراهيم القادري، مقومات السلم المدني وآليات تحصينه دراسة تأصيلية في ضوء السنة النبوية، ١/ ٣٢، ٣٣.

[٣] يراجع: يوسف، ابن عطا الله، أثر الإيمان والعبادات في تحقيق السلم الاجتماعي في ضوء السنة النبوية المطهرة، مجلة العلوم الإسلامية، ج ١، ع ١، ص ٢٤١، ٢٤٢.

العودة إلى الكفر بعد الإيمان، فقال: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بعض» [١]، فقد ربط النبي بين الكفر وبين وقوع القتال بين صفوف المسلمين، وهو بلا شك كفر دون كفر، يدل على أنه من شعب الكفر وخصاله، وليس الكفر الحقيقي المخرج من الملة.

وإذا كانت خطبة حجة الوداع قد غرست قيم الوحدة الإنسانية وجعلتها طريقا لتحقيق السلم المجتمعي، فإنها قطعت الطريق بين المسلمين وبين الانتكاس والوقوع في خصال الكفر مرة أخرى «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بعض»، وأكدت على أن الشيطان قد أيس من عبادة المسلمين له، إلا أنه رضي بما يحدثه بينهم من إثارة الفتن المؤدية إلى وقوع القتال بينهم، قالﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**» [٢].

لذا دعت السنة النبوية إلى لزوم الجماعة وعدم مفارقتها، وحذرت من مغبة السقوط في شراك الفتن وما تفضي إليه من صراع يؤدي إلى ميتة الجاهلية، التي وضع النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع كل أمرها تحت قدمه «**أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ**».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً. وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ. وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا. ولا يتحاش مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فليس مني ولست منه» [٣].

كما رسمت خطبة حجة الوداع طريق الخلاص من سبيل الشيطان والتفرق والضلال متمثلا في الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فهما الضمانة الآكدة لتحقيق الأمن المجتمعي بين أفراد المجتمع بكل أطيافه،

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، بَاب: الْخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى، رقم (١٦٥٢).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينا، رقم (٢٨١٢).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال. وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، رقم ((١٨٤٨)).

وفي المستدرك على الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاس، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: «**قَدْ يَئِسَ الشَّيْطَانُ بِأَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَاقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوا، يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ، إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ مُسْلِمٌ، الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَلَا تَظْلِمُوا، وَلَا تَرْجِعُوا مِنْ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[1].

وإذا كان الإيمان مقوما أساسيا في تحقيق الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي، فإن غياب السلم المجتمعي لا يمكن الإنسان من عبادة الله تعالى على الوجه المطلوب، ومن هنا جمع إبراهيم عليه السلام في دعائه بين طلب الأمن وبين اجتناب عبادة الأصنام، مقدما طلب الأمن على تجنب عبادة الأصنام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ومن هنا فإنه يجب على المسلم القادر الهجرة بالدين من الأرض التي لا يتوفر فيها السلم المجتمعي ويعيش فيها مستضعفا ذليلا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩].

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، رقم (٣١٨).

المبحث الثالث

أثر خطبة حجة الوداع في تعزيز السلم المجتمعي.

اشتملت خطبة حجة الوداع على العديد من التوجيهات التي تضمن تحقيق السلم المجتمعي وتعزز من وجوده ودوامه، على كافة مستويات السلم المجتمعي؛ المجتمع الإنساني، والمجتمع المسلم، والأسرة المسلمة.

وقد وردت هذه التوجيهات منثورة في خطب حجة الوداع الثلاثة، خطبة يوم عرفة، وخطبة يوم النحر، وخطبة أيام التشريق.

ولا شك في أن رسالة النبي ﷺ رسالة عالمية ذات طابع إنساني، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾[سبأ:٢٨]، ومن هنا حملت نداءات النبي ﷺ في خطب حجة الوداع السمة العامة، موجهة للناس جميعا، فليس هناك رسالة أخرى بعدها، ومن هنا تأكد حرص النبي ﷺ في خطب حجة الوداع على إرساء الضمانات الكافية التي تحفظ على الإنسانية جمعاء أمنها وسلامها واستقرارها، **وهو ما يتضح من خلال النقاط الآتية:**

أولا- ضرورة حفظ الدين وأثره في تحقيق السلم المجتمعي:

أكدت خطب حجة الوداع على حفظ الدين، ووحدة التوجه لله الواحد، قال ﷺ: «**يَا أَيُّها النَّاسُ: أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ،** وَإِنَّ أَباكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ على عَجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، ولا أَسْوَدَ على أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: «بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ».

كما أن حجة الوداع كما يظهر من اسمها جاءت في آخر حياة النبي ﷺ، وقد نص فيها على أنه خطاب مودع، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى تقرير كمال الدين وتمامه، حتى يتحقق الاستقرار والأمن والأمان، فلا مجال للتدخل البشري في قضاياه التي اتسمت بالربانية والعالمية والحفظ والثبات والشمول، ومن هنا جاءت خطبة الوداع معلنة انتهاء عبادة الشيطان، ومؤكدة أن الدين من عند الله لا من عند البشر، وأنه تام غير ناقص، محفوظ بحفظ الله

لمصادره التي يجب الاعتصام بها والركون إليها، صيانة للمجتمع الإنساني من أن يتيه أو يضل أو يقع فريسة للشيطان أو يتنكس ويعود إلى الكفر ويقع في التناحر والتضارب والقتال، ولا شك أن هذه التوجيهات النبوية وغيرها مما تضمنته خطب حجة الوداع تعزز من تحقيق السلم المجتمعي، وتضمن ديمومته وبقاءه وشموله للناس جميعا، **وقد أخذ حفظ الدين في خطبته صورا متنوعة، وفيما يأتي نوضح طرفا منها:**

١. إثبات الكمال والتمام للدين:

فقد نزل في حجة الوداع قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾ [المائدة:٣].

وقد بين النبي ﷺ قرب انتهاء أجله، ولذا كان حريصا على نصح الناس وإبلاغهم بما يريد منهم، فقال: **«أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا فِي هَذَا الْمَوْقِفِ»** [١]، وهو ما أكده في رواية أخرى على سبيل التأبيد، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا» [٢].

فقد أراد النبي ﷺ وضع اللمسات الأخيرة على أحكام الشريعة ومبادئها بهذه الخطبة العظيمة، التي أكدت بكلماتها أنها آخر وصاياه للمسلمين، وأنه لا يبغي من وراء ذلك إلا إقامة ذلك الدين الحنيف وبناء صرح دولة الإسلام كحصاد لرسالته الخاتمة التي أنعم الله على المسلمين بكمالها وتمامها، مودعا إياهم بالتأكيد على أهمية حماية المعاني والقيم الإنسانية التي لا قيام للسلم المجتمعي بدونها، والتي يشكل انتقاضها خللا خطيرا يؤثر على البنية الاجتماعية والسياسية للمجتمع المسلم، ومن هنا سميت حجته بحجة الوداع وحجة التمام [٣].

---

[١] ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر، أحكام القرآن، ٢/ ٥٠٣.

[٢] ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦٠٣.

[٣] البوشي، فرج محمد، حقوق الإنسان الأساسية في حجة الوداع، ص ٥٣١، ٥٣٢.

٢. التأكيد على مصدرية السنة في العبادة وضرورة التأسي والاقتداء فيها بالنبي ﷺ:

فقد روى مسلم بسنده عن جابر ﷺ قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ " **لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ. فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لا أحج بعد حجتي هذه**» [١].

يقول الإمام النووي: " وأما قوله ﷺ: (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ) فهذه اللام لام الأمر ومعناه خذوا مناسككم وهكذا وقع في رواية غير مسلم وتقديره هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات هي أمور الحج وصفته وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها وحفظوها واعملوا بها وعلموها الناس وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج وهو نحو قوله ﷺ: في الصلاة (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)، وقوله ﷺ: (لِتَعْلَمِي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ) فيه إشارة إلى توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ وحثهم على الاعتناء بالأخذ عنه وانتهاز الفرصة من ملازمته وتعلم أمور الدين وبهذا سميت حجة الوداع والله أعلم " [٢].

٣. دعوته إلى الاعتصام بالكتاب والسنة:

فقد جاء في رواية مسلم عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال في نهاية خطبته يوم عرفة: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ»، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ! اشْهَدِ اللَّهُمَّ! اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ [٣].

وحفظ الدين لا يتأتى إلا باتباع كتاب الله وسنة النبي ﷺ، وقد نصت الخطبة –كما في البخاري ومسلم وغيرهما– صراحة على كتاب الله، وعلى سنة النبي ﷺ ضمنا، وذلك واضح في قوله ﷺ: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، بَاب اسْتِحْبَابِ رَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ راكبا. وبيان قوله ﷺ "لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، رقم (١٢٩٧).

[٢] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٨/ ١٨٤.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، بَاب حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (١٢١٨).

قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ»: فشهادة الصحابة ﷺ بأنه ﷺ بلّغ وأدّى ونصح، تأكيد منهم على سنته وتعاليمه وهديه ودورها في تحقيق أهم حق من حقوق الإنسان وهو حفظ الدين.

وفي المستدرك على الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: «قَدْ يَئِسَ الشَّيْطَانُ بِأَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَاقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوا **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ** ﷺ، إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ مُسْلِمٍ، الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَلَا تَظْلِمُوا، وَلَا تَرْجِعُوا مِنْ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[1].

ومن لوازم التمسك بكتاب الله تعالى العمل بسنة النبي ﷺ؛ قوله تعالى:﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ ﴾ [النساء:٨٠]. وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾ [آل عمران:٣١]. وقوله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ [النساء: ٦٥]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾ [الحشر من الآية:٧].

ومعنى قوله ﷺ: «وأنتم مسؤولون عني» أي: عن تبليغي وعدمه، فما أنتم قائلون في حقي؟ قولهم: «قد بلغت» أي: الرسالة "وأديت" أي: الأمانة "ونصحت" أي: الأمة.

والأعظم من شهادة الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ شهادة الله تعالى له، وذلك واضح في قوله ﷺ : «اللهم اشهد» أي: على عبادك بأنهم قد أقروا بأني قد بلغت، أو المعنى: اللهم اشهد أنت؛ وكفى بك شهيداً.

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، رقم (٣١٨).

٤. حرصه ﷺ على إقرار الناس وإشهادهم بإبلاغه الدين، ودوم تبليغ الدعوة بعده وأمره بتبليغ وصاياه من لم يحضرها من الناس، ودعاؤه لهم بالنضارة:

روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ». قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ». قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ». قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، **أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ». قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ،** فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» [(١)].

وقد استعمل النبي ﷺ في خطبته أسلوب الحض والتنبيه وشدِّ الانتباه: وهذا واضح جلي في قوله ﷺ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ»، «أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» [(٢)]، وتَكرّر مثلُ هذا في مواضع من خطبته.

وغير خفي أن شهادة صدر هذه الأمة ينسحب إلى بقية الأمة إلى يوم القيامة، فنحن نشهد بالله العظيم أنه بلغ البلاغ المبين عليه الصلاة والسلام وبلغ الرسالة كاملة [(٣)].

وقد دعا النبي بالنضارة ﷺ لمن يقوم بالبلاغ عنه، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْخَيْفِ مِنْ مِنًى فَقَالَ: «**نَضَّرَ اللَّهُ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، بَاب: الْخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى، رقم (١٦٥٤)، ومسلم في صحيحه، كِتَاب الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، بَاب تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ، رقم (١٦٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم (١٦٧٩).

(٣)العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم، المائدة، ٢/ ١٥١.

امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ" [١].

٥. التحذير من الابتداع في الدين وبيان خطورة الكذب على رسول الله ﷺ:

فقد روى أحمد في مسنده عن عَمْرو بْن مُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ مُرَّةَ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَاب النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ مُخَضْرَمَةٍ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا يَوْمُ النَّحْرِ. قَالَ: «صَدَقْتُمْ يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، ....، أَلَا وَإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَنْظُرُكُمْ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي، أَلَا وَقَدْ رَأَيْتُمُونِي وَسَمِعْتُمْ مِنِّي وَسَتُسْأَلُونَ عَنِّي، **فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**، أَلَا وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ رِجَالًا –أَوْ نَاسًا– وَمُسْتَنْقَذٌ مِنِّي آخَرُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» [٢].

٦. وضع كل شيء من أمر الجاهلية وإبطاله:

فقد جاء في رواية مسلم عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال في خطبة يوم عرفة: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ. وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ. وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ. كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ. وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ. وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا. رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ» [٣]، **فقوله** ﷺ: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ» إبطال لجميع أفعال الجاهلية في الاعتقادات والمعاملات والعادات، **وقوله** ﷺ: «تَحْتَ قَدَمَيَّ» إشارة إلى إبطاله [٤]، "وهذا فيه بيان للحال البئيسة، والفساد العريض الذي كان عليه الناس قبل الإسلام في عباداتهم وتعاملاتهم؛ دماءٌ تراق، وأموال تنتهب، وأعراض

---

[١] أخرجه ابن ماجة في سننه، بَابُ مَنْ بَلَّغَ عِلْمًا، رقم (٢٣١).

[٢] أخرجه أحمد في مسنده، رقم (٢٣٤٩٧).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، بَاب حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (١٢١٨).

[٤] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٨/ ١٨٢.

تنتهك، حيث بلغ فيهم الجهل مبلغه والضلال غايته، فنالوا بذلك مقت الله عز وجل وسخطه" [١].

٧. إبطال النسيء وتحريمه:

إن من حفظ الدين إقامة شرع الله والالتزام بما أحل وبما حرم، وقد حرم الله تعالى الأشهر الحرم وحدد مواقيتها، وحرم القتال فيها، إلا أن العرب قبل الإسلام تلاعبوا بها فغيَّروا ترتيبها وقدَّموا فيها وأخَّروا ولم يلتزموا بترتيبها الذي وضعه الله تعالى، فأبطل النبي في حجة الوداع صنيعهم وأقرها كما وضعها الله دون عودة للتدخل في شأنها، فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ: السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسَبُهُ قَالَ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ» [٢].

يقول الإمام النووي: "وأما قوله ﷺ : "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض" فقال العلماء معناه أنهم في الجاهلية يتمسكون

---

[١] البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، خطب ومواعظ من حجة الوداع، ص ٢٣.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب: مَنْ قَالَ: الْأَضْحَى يَوْمُ النَّحْرِ، رقم (٥٢٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم (١٦٧٩).

بملة إبراهيم ﷺ في تحريم الأشهر الحرم، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات، فكانوا إذا احتاجوا إلى قتال أخروا تحريم المحرم إلى الشهر الذي بعده وهو صفر، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر، وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة، حتى اختلط عليهم الأمر. وصادفت حجة النبي ﷺ تحريمهم وقد تطابق الشرع، وكانوا في تلك السنة قد حرموا ذا الحجة لموافقة الحساب الذي ذكرناه، فأخبر النبي ﷺ أن الاستدارة صادفت ما حكم الله تعالى به يوم خلق السماوات والأرض، وقال أبو عبيد: كانوا ينسئون أي يؤخرون، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ٣٧]، فربما احتاجوا إلى الحرب في المحرم فيؤخرون تحريمه إلى صفر ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى، فصادف تلك السنة رجوع المحرم إلى موضعه" [١]

٨. إعلان انتهاء عبادة الشيطان:

روى النسائي بسنده عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ لِلنَّاسِ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قَالُوا: يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ عَلَى وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ، **أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ فِي بِلَادِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا** وَلَكِنْ سَتَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِيمَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَسَيَرْضَى بِهِ» [٢].

وفي مسلم: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**» [٣].

---

[١] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١١/ ١٦٨.

[٢] أخرجه النسائي في سننه، بَابُ مَا جَاءَ دِمَاؤُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، رقم (٢١٥٩).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينا، رقم (٢٨١٢).

ومما قيل في معناه: (إن الشيطان): يحتمل الجنس، والأظهر أن المراد به إبليس رئيسهم (وقد أيس) أي: صار محروما، ويئس، (ومن أن يعبده المصلون) عبادة الشيطان عبادة الصنم؛ لأنه الآمر به والداعي إليه، بدليل قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [مريم: ٤٤]، والمراد بالمصلين المؤمنون كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ»: سموا بذلك؛ لأن الصلاة أشرف الأعمال، وأظهر الأفعال الدالة على الإيمان.

ومعنى الحديث: أيس من أن يعود أحد من المؤمنين إلى عبادة الصنم، ويرتد إلى شركه (في جزيرة العرب). ولا يرد على ذلك ارتداد أصحاب مسيلمة، ومانعي الزكاة، وغيرهم ممن ارتدوا بعد النبي ﷺ، لأنهم لم يعبدوا الصنم.

وفيه أن دعوة الشيطان عامة إلى أنواع الكفر غير مختصة بعبادة الصنم، فالأولى أن يقال: المراد أن المصلين لا يجمعون بين الصلاة، وعبادة الشيطان كما فعلته اليهود، والنصارى.

(وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ): خبر لمبتدأ محذوف أي: هو في التحريش، أو ظرف لمقدر أي يسعى في التحريش (بينهم) أي: في إغراء بعضهم على بعض، والتحريض بالشر بين الناس من قتل، وخصومة، والمعنى لكن الشيطان غير آيس من إغراء المؤمنين، وحملهم على الفتن بل له مطمع في ذلك، قيل: ولعله أخبر عما يجري فيما بعده من التحريش الذي وقع بين أصحابه أي: أيس الشيطان أن يعبد فيها لكن طمع في التحريش بين ساكنيها، وكان كما أخبر فكان معجزة له عليه الصلاة والسلام. [١].

يقول الإمام النووي: "هذا الحديث من معجزات النبوة وقد سبق بيان جزيرة العرب ومعناه أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها" [٢].

٩. بيان خطر الانتكاس والعودة إلى الكفر بالتنافر والتضارب:

فقد حذر النبي ﷺ من العودة إلى الكفر بعد الإيمان، فقال: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بعض**» [٣]، "**قيل في معناه سبعة أقوال،**

---

[١] القاري، علي بن سلطان، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط الأولى ٢٠٠٢م، ١/ ١٤٣.

[٢] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ١٧/ ١٥٦.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، بَاب: الْخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى، رقم (١٦٥٢).

أحدها: أن ذلك كفر في حق المستحل بغير حق. **والثاني:** المراد كفر النعمة وحق الإسلام. **والثالث:** أنه يقرب من الكفر ويؤدي إليه. **والرابع:** أنه فعل كفعل الكفار. **والخامس:** المراد حقيقة الكفر، ومعناه: لا تكفروا؛ بل دوموا مسلمين. **والسادس:** حكاه الخطابي وغيره أن المراد بالكفار المتكفرون بالسلاح، يقال تكفر الرجل بسلاحه إذا لبسه... **والسابع:** قاله الخطابي معناه لا يكفر بعضكم بعضا فتستحلوا قتال بعضكم بعضا" [١].

ولما كان التحذير من الانتكاس والعودة إلى الكفر والوقوع في التناحر من الخطورة بمكان، كلَّف النبي ﷺ الصحابي الجليل جرير ابن عبد الله ﷺ باستنصات الناس، ففي البخاري وغيره أَنّ النَّبِيَّ ﷺ قال في حجة الوداع لجرير: «**اسْتَنْصِتِ النَّاسَ**». فَقَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بعض» [٢]، مما يدل على أهمية الأمر؛ حيث إن الخطبة لما كانت مشتملة على صلاح الناس وسعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ناسب أن يأمرهم بالإنصات الذي يؤثر فيهم العلمَ والانتفاع ومن ثم العملَ والارتفاع [٣].

وقد نُقل عن سفيانَ الثوريِّ وغيره أنه قال: "أَوَّلُ الْعِلْمِ الِاسْتِمَاعُ، ثُمَّ الْإِنْصَاتُ، ثُمَّ الْحِفْظُ، ثُمَّ الْعَمَلُ ثُمَّ النَّشْرُ" [٤]، وهذا من وسائل الجذب وبراعة الاستهلال ليتهيأ الناس لما يلقى على مسامعهم، والتي ينبغي أن يكون الخطيب على دراية كاملة بها.

وجاء التحذير في رواية أخرى للبخاري وغيره مسبوقا بعبارات التعجب والترحم «وَيْحَكُمْ، أَوْ وَيْلَكُمْ، لَا ترجعنَّ بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رقاب بعض» [٥]. ومعنى «وَيْحَكُمْ، أَوْ وَيْلَكُمْ»: كلمتان استعملتهما العرب بمعنى التعجب والتوجع قال سيبويه ويل كلمة لمن وقع في هلكة وويح ترحم

---

[١] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٢/ ٥٥.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي بَاب: حجة الوداع، رقم (٤١٤٣).

[٣] البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، خطب ومواعظ من حجة الوداع، ص: ١٢.

[٤] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف، جامع بيان العلم وفضله، دار ابن الجوزي، ط الأولى، ١٩٩٤م، ١/ ٤٧٧.

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، بَاب: ظَهْرُ الْمُؤْمِنِ حِمًى إِلَّا فِي حَدٍّ أو حق، رقم (٦٤٠٣).

وحكي عنه ويح زجر لمن أشرف على الهلكة قال غيره ولا يراد بهما الدعاء بإيقاع الهلكة ولكن الترحم والتعجب [١].

١٠. التأكيد على لقاء الله تعالى والسؤال عن الأعمال يوم القيامة.

اليوم الآخر من أركان الإيمان، وقد أكد النبي ﷺ في خطبة يوم عرفة على لقاء الله وسؤال الله تعالى للناس عن رسول الله، ففي مسلم: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ. كِتَابُ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي. فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ " قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ» [٢].

كما أكد النَّبِيَّ ﷺ في خطبة يوم النحر على لقاء الله يوم القيامة وسؤالهم عن أعمالهم ففي البخاري ومسلم أَنّ النَّبِيَّ ﷺ «**وستلقون ربكم، فسيسألكم عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**» [٣].

ثانيا- ضرورة حفظ الدماء والأعراض والأموال وأثره في تحقيق السلم المجتمعي.

كان لمجموع خطب حجة الوداع دور بارز وأصيل في حفظ الدماء وصيانة الأنفس والأعراض والأموال من خلال ما تضمنته من توجيهات نبوية، حرمت المساس بهم والاعتداء عليهم، وذلك حفاظا على قيمة الإنسان، دمه وماله وعرضه، سواء كان حاضرا أو غائبا، وفي حياته وبعد موته، وقد تكررت هذه التوجيهات في خطبة يوم عرفة، وفي خطبة يوم النحر، وفي خطبة أوسط أيام التشريق، مما يدل على أهمية الأمر ومدى عناية النبي ﷺ به.

---

[١] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٢/ ٥٦.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، بَاب حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (١٢١٨).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي بَاب: حجة الوداع، رقم (٤١٤٤)، ومسلم في صحيحه، كِتَاب الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، بَاب تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ، رقم (١٦٧٩).

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ، عَنِ النبي ﷺ قال: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ – قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ – وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضلالا، يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ» [١].

فقد حذر النبي ﷺ في خطبه في حجة الوداع من مغبة العنف وسفك الدماء، كما حذر في سنته من مغبة السقوط في شراك الفتنة والخروج عن الجماعة، أو التعصب لطائفة دون أخرى، واعتبر ذلك طريقا مفضيا إلى الاقتتال، ومن هنا جعل الرسول ﷺ الطائفتين والمتعصبين في عداد من يموتون ميتة جاهلية [٢].

وقد جاءت خطبة حجة الوداع لتعلن وضع النبي ﷺ كل ما كان من أمر الجاهلية تحث قدمه، وحذرت من الانتكاس والوقوع في براثن الاقتتال المفضي إلى ملابسة خصال الكفر، وذلك صونا للدماء من أن تراق، «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بعض» [٣].

كما دلت هذه الخطبة على عظم حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وعصمتِها، وأنه لا يحل الاعتداءُ عليها بأيِّ نوع من الاعتداء، "فقد أكد النبي ﷺ حرمة هذه الثلاث، الدماءِ والأموال والأعراض تأكيداً بالغاً، وغلَّظ شأنها تغليظاً عظيماً، وجَعل حرمتها كحرمة اليوم الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام، وكرَّر ذلك على أسماعهم اهتماماً بالمقام وتعظيماً للأمر، وأمر شاهدَهم أن يبلغ غائبهم بذلك، وقد استدعى عليه الصلاة والسلام اهتمامهم، وشدَّ أذهانهم بسؤالهم عن اليوم الذي هم فيه، وعن الشهر وعن

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب: مَنْ قَالَ: الْأَضْحَى يَوْمُ النَّحْرِ، رقم (٥٢٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم (١٦٧٩).

[٢] بوتشيش، إبراهيم القادري، مقومات السلم المدني وآليات تحصينه دراسة تأصيلية في ضوء السنة النبوية، ١/ ٤٩.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، بَاب: الْخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى، رقم (١٦٥٢).

البلد، وذَكَّرهم بحرمتها، وحُرمتُها معلومةٌ عندهم متقررةٌ في نفوسهم، وهو عليه الصلاة والسلام إنما ذكر ذلك توطئة لبيان حرمة دم المسلم وماله وعرضه" [١].

وقوله ﷺ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا**»، تشبيه "لحال عظم حرمة سفك الدماء وغصب الأموال بين الناس في الإسلام؛ بحال عظم حرمة مكة في شهر ذي الحجة في يوم عرفة؛ والجامع هو هيئة حاصلة من عظم الحرمة، وحصول القداسة، مع لزوم عدم التعدي.

ومن المعلوم كراهة تشبيه أمر في الإسلام بآخر في الجاهلية؛ لما فضل الله به الإسلام على الجاهلية، ولكن لما كان الجاهليون قد استقر في أذهانهم ورسخ في قلوبهم حرمة البلد وحرمة الشهر وحرمة اليوم، حتى بلغت شأوا عظيما ومكانة جليلة، لا يعتدي عليها أحد إلا أُهلك؛ اختار لهم الرسول هذا التشبيه بالذات" [٢].

فالمشبه به أقل رتبة من المشبه، وفي ذلك يقول ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ): "ومناط التشبيه في قوله كحرمة يومكم وما بعده ظهوره عند السامعين؛ لأن تحريم البلد والشهر واليوم كان ثابتا في نفوسهم مقررا عندهم بخلاف الأنفس والأموال والأعراض فكانوا في الجاهلية يستبيحونها، فطرأ الشرع عليهم بأن تحريم دم المسلم وما له وعرضه أعظم من تحريم البلد والشهر واليوم، فلا يرد كون المشبه به أخفض رتبة من المشبه؛ لأن الخطاب إنما وقع بالنسبة لما اعتاده المخاطبون قبل تقرير الشرع" [٣].

ويقول في موضع آخر: "وفيه تأكيد التحريم وتغليظه بأبلغ ممكن من تكرار ونحوه وفيه مشروعية ضرب المثل وإلحاق النظير بالنظير ليكون أوضح للسامع وإنما شبه حرمة الدم والعرض والمال بحرمة اليوم والشهر

---

[١] البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، خطب ومواعظ من حجة الوداع، ص ٣٩.

[٢] المبارك، تغريد بنت عبد العزيز سعد، التصوير البياني في خطبة حجة الوداع، مجلة كلية اللغة العربية، ع ٢٩، ج ١، ١٤٧، ١٤٨.

[٣] العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح البخاري، ١/ ١٥٩.

والبلد؛ لأن المخاطبين بذلك كانوا لا يرون تلك الأشياء ولا يرون هتك حرمتها ويعيبون على من فعل ذلك أشد العيب، وإنما قدم السؤال عنها تذكيرا لحرمتها وتقريرا لما ثبت في نفوسهم ليبني عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد" [١].

وفي الخطبة تأكيد على أن حصانة الدماء أبدية لا تسقط إلا بمبرر شرعي، كالقصاص من القاتل وإقامة الحد على الزاني المحصن، وغيرها من الصور التي يبيح الشرع فيها رفع الحصانة عن الدم.

وتعقيب النبي ﷺ على هذا التحريم المؤبد بقوله: «وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ»؛ فيه استجاشة للنفوس من عوامل الرهبة والخشية من لقاء الله ومناقشة الحساب على الأعمال ومدى استجابتها لأمر الله ورسوله[٢].

وليس هذا فحسب بل لعظم أمر الدماء فإنها ستكون أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يوم القيامة، في الدماء» [٣].

فالخطبة بأكملها وحدة متكاملة؛ إذ شرع فيها الرسول ﷺ أمورا تبين حرصه على حقن الدماء وحفظ الأموال والأعراض، وهو ما يتضح من خلال ما يأتي:

١. تأكيده ﷺ على الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال وتحريم النسيء فيها بتغيير ترتيبها الذي وضعه الله تعالى.

٢. تشبيهه ﷺ حرمة سفك الدماء والاعتداء على الأموال بين الناس في الإسلام؛ بحال عظم حرمة مكة في شهر ذي الحجة في يوم عرفة.

---

[١] العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح البخاري، ٣/ ٥٧٦.

[٢] يراجع: خياط، عبد الله، مواقف حاسمة في السيرة النبوية، خطبة حجة الوداع، مجلة الحج والعمرة، ع ١٩/ ج ٦، ص ٣٣٨.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: القصاص يوم القيامة، رقم (٦٥٣٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، بَاب الْمُجَازَاةِ بِالدِّمَاءِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رقم (١٦٧٨)

إلا أن تحريم الاعتداء على الأنفس والأموال والأعراض أعم وأشد في جميع الأوقات في الأشهر الحرم وفي غيرها، وفي جميع الأماكن في مكة وغيرها، فعمل التشبيه في قوله: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا**» على تصوير الحرمة في أشد صورها والمبالغة فيها، وهي صورة حرمة البلد والشهر واليوم، فتقرر في النفوس حرمة الدماء والأموال والأعراض كما هو مقرر فيها حرمة البلد والشهر واليوم.

٣. تصديره ﷺ للتشبيه بأسلوب الاستفهام التقريري:

حيث قال: "أي يوم هذا؟ ... أليس يوم النحر؟ ... أي شهر هذا أليس ذا الحجة؟ ... أي بلد هذا؟ ... أليس البلد الحرام؟ ... "، فعمل بواسطته على تقريرهم بأنفسهم بحرمة اليوم والبلد والشهر، فتأكد المعنى وسهل استحضاره أثناء التشبيه به.

٤. إتيان الرسول ﷺ بالممثل به بناء متلاحما متآزرا:

فقال: «**كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا**» مبالغة في الحرمة وتشديدا عليها، وتأكيدا على مكانها في الإسلام، وكان لاسم الإشارة (هذا) واختيار الرسول ﷺ للمقام الذي قيلت فيه أثر في إبراز التشبيه، حيث قام على المشاهدة والمعاينة مما حقق التأكيد والترسيخ للمعنى، فأتى قوله ﷺ مطابقا لمقتضى الحال الذي عاشه الناس، وتلك قمة البلاغة.

٥. تشبيه النبي ﷺ قتال المسلمين واعتداءهم على بعضهم بعمل الكفار:

وخصص منه ضربهم رقاب بعض، بقصد تشنيع الاعتداء على الحرمات؛ إذ يوصف به الكفار والضّلال؛ ففيه من التنفير الشديد بالتشبه بالكفار في التناحر والاقتتال[١].

---

[١] المبارك، تغريد بنت عبد العزيز سعد، التصوير البياني في خطبة حجة الوداع، ١/ ١٤٩- ١٥١، ويراجع: الرميح، عبد الرحمن بن رميح، حرمة النفس الإنسانية في السنة النبوية، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، ع ٤٣، ج، ١، ١٥٧٦- ١٦٠٥.

٦. التأكيد على قدسية الحياة في الإسلام ووجوب حمايتها من قبل السلطة الحاكمة أو من أفراد المجتمع:

وعدم التفرقة في الحماية بين رجل وامرأه، ولا بين شيخ وطفل، ولا بين غني وفقير، ولا بين عاقل ومجنون، ولا بين عالم وجاهل، ولا بين مسلم وغيره، فوجوب الحماية حق لكل الناس [١].

٧. تعريف النبي ﷺ للمؤمن بأنه من أمنه الناس، وتعريفه للمسلم بأنه من سلم المسلمون من لسانه ويده، وللمهاجر بأنه من هجر ما نهى الله عنه.

فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن فَضَالَة بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ الله، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ» [٢]، فقد اهتم الإسلام بكف الأذى عن الناس لتوثيق الروابط الاجتماعية بينهم، وصيانة المجتمع عن كل ما يؤدي إلى التفكك والتقاطع والتدابر ....، وأوجب حسن معاملتهم، حتى أنه حصر الإسلام الكامل فيه، وحثّ المسلمين عليه، لأن الدين المعاملة، فالمسلم لا يؤذي أحداً ولو كان كافراً، لقوله ﷺ في رواية النسائي وابن حبان: "وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ" [٣]، وقد أجمعت كل الأديان السماوية على حفظ حقوق الإنسان وصيانتها [٤]، حتى قال ﷺ : «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يُرِح رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» [٥].

---

[١] البوشي، فرج محمد، حقوق الإنسان الأساسية في حجة الوداع، ص ٥٤٨.

[٢] أخرجه أحمد في مسنده، رقم (٢٣٩٥٨).

[٣] أخرجه النسائي في سننه، رقم (٤٩٩٥) وابن حبان في صحيحه، رقم (٤٤٨٠).

[٤] قاسم، حمزة محمد، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٩٩٠م، ١/ ٨٦.

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدّيات. بَاب: إِثْمِ مَنْ قَتَلَ ذِمِّيًّا بِغَيْرِ جُرْمٍ.، رقم (٦٥١٦).

فهذا الحديث الذي هو من جملة وصايا النبي ﷺ وتعليمه لأمته في حجة الوداع، وفيه بيان لكمال مسميات هذه الأسماء الجليلة: الإيمانِ والإسلام وغيرهما، وبيانٌ للمستحقين لهذه الأسماء على الحقيقة الواجبة لهم، والتي يترتب عليها السعادة التامة في الدنيا والآخرة، وذكرٌ لحدودها بكلام جامع شامل.

أ. فالمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، فإن الإيمان إذا تمكن في القلب، وامتلأ القلب به أوجب لصاحبه القيام بحقوق الإيمان التي من أهمها: رعاية الأمانات، والصدق في المعاملات، والورع عن ظلم الناس في دمائهم وأموالهم، ومن كان كذلك عرف الناس هذا منه وأمنوه على دمائهم وأموالهم ووثقوا به، لما يعلمون منه من مراعاة الأمانات، فإن رعاية الأمانة من أخص واجبات الإيمان، كما قال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له» [1].

ب. والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وذلك أن الإسلام الحقيقي هو الاستسلام لله وتكميلُ عبوديته والقيام بحقوق المسلمين، ولا يتم الإسلام حتى يحب للمسلمين ما يحب لنفسه، ولا يتحقق ذلك إلا بسلامتهم من شر لسانه وشر يده، فإن هذا أصل هذا الفرض الذي عليه المسلمون، فمن لم يسلم المسلمون من لسانه أو يده كيف يكون قائماً بالفرض الذي عليه لإخوانه المسلمين؟ ومن بسط في المسلمين يده ولسانه أذىً وعدواناً أين هو من تحقيق الإسلام؟ فسلامتهم من شره القولي والفعلي عنوان على كمال إسلامه.

وفي هذا دلالة على أن المؤمن أعلى رتبة من المسلم، فإن من كان مأموناً على الدماء والأموال كان المسلمون يسلمون من لسانه ويده ولولا سلامتُهم منه لما ائتمنوه، وليس كلٌّ من سلموا منه يكون مأموناً عندهم، فقد يترك أذاهم وهم لا يأمنون إليه خوفاً أن يكون ترك أذاهم لرغبة أو رهبة لا لإيمان في قلبه.

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده، رقم (١٢٣٨٣).

ففسر المسلمَ بأمر ظاهر وهو سلامة الناس منه، وفسر المؤمنَ بأمر باطن وهو أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم وهذه الصفة أعلى من تلك [١].

٨. التطبيق العملي لصيانة الدماء والأموال:

فقد جاء في رواية مسلم عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال في خطبة يوم عرفة: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ. وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ. وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ. كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ. وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ. وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا. رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ» [٢]، وفي رواية: «وَإِنَّ كُلَّ رِبًا مَوْضُوعٌ، وَلَكِنْ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ. قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لَا رِبَا، وَإِنَّ رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ» [٣].

فقد بدأ ﷺ بتنفيذ ذلك وهو في موقفه ليختط القدوة العملية، بدأ في وضع دماء الجاهلية وثاراتها التي كانت مبعث عدم الاستقرار وشرارة اشتعال النار بينهم؛ بدأ في وضعها بأهل بيته، فوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وتلك أنجح وسيلة للقدوة، وأحكم سياسة لتنفيذ ما يراه الحاكم أو المشرع لشريعة أن يبدأ بالتنفيذ في خاصته وذويه.

ففي الحفاظ على المال ذكرهم النبي ﷺ عمليا بنهي الشريعة عن الربا، وهي من الكبائر، وهو من أخطر التعاملات المالية التي تواضعت عليها الجاهلية وتعارفت عليها مجتمعاتهم، وفيه تقطيع لأواصر الإنسانية في المجتمع، وفيه تأصيل لقواعد العداوة والشنآن بين أفراد الأمة، وفيه احتقان للمال والثرة في يد طائفة دون جهد على حساب طائفة أخرى تكد وتكدح لحساب غيره، وسبب للانهيار الاقتصادي والركود التجاري وانتشار البطالة، ففيه ضياع للثروة ومحو البركة وسقوط المحبة وانعدام التعاطف والتراحم

---

[١] البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، خطب ومواعظ من حجة الوداع، ص ٤٩- ٥١.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، بَاب حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (١٢١٨).

[٣] ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦٠٣. وابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر، أحكام القرآن، ٢/ ٥٠٣.

بين الناس [١]، وبعبارة موجزة: في الربا انعدام للسلم المجتمعي، لما فيه من المفاسد الإنسانية المزمنة في حياة البشر، والتي تعود بآثارها المدمرة اقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا على الفرد والمجتمع، ولا شك أن في تحريم الربا وتجريم ممارسته تعزيز للسلم المجتمعي.

٩. رسمه لسبل التعامل الحلال مع مال الغير في ختامه ﷺ لخطبته:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: «إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ مُسْلِمٌ، الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَلَا تَظْلِمُوا، وَلَا تَرْجِعُوا مِنْ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» [٢]. وفي رواية الترمذي: «أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ، فَلَيْسَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَحَلَّ مِنْ نَفْسِهِ» [٣]، فقد حرم النبي ﷺ الانتفاع بمال الغير إلا بطيب نفس منه، وعلم مسبق بإذنه ومسامحته وعدم ممانعته، وفيه دلالة على تأكيد آصرة الأخوة بين المسلمين والمودة والقربى بينهم، فقد أباح الله تعالى الأكل من بيوت الأقارب والأصدقاء دون علمهم، لما جرت به العادة والعرف من المسامحة فيه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النور: ٦١].

---

[١] يراجع: خياط، عبد الله، مواقف حاسمة في السيرة النبوية، خطبة حجة الوداع، ع ١٩/ ج ٦، ص ٣٣٨، و: الغفيلي، راشد بن عامر بن عبد الله، من معاني خطبة حجة الوداع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ع ٢٣١، ١٤٣٢هـ، ص ١٣٦، ١٣٧.

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، رقم (٣١٨).

[٣] أخرجه الترمذي في سننه، رقم (٣٠٨٧).

يقول القرطبي (ت ٦٧١ هـ): "قال بعض العلماء: هذا إذا أذنوا له في ذلك. وقال آخرون: أذنوا له أو لم يأذنوا فله أن يأكل، لأن القرابة التي بينهم هي إذن منهم. وذلك لأن في تلك القرابة عطفا تسمح النفوس منهم بذلك العطف أن يأكل هذا من شيئهم ويُسَرُّوا بذلك إذا علموا" [١].

١٠. حضُّه ﷺ على أداء الأمانة ورعاية حق المؤتمن:

فقد تضمنت خطبة حجة الوداع النص على وجوب أداء الأمانة، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا» [٢].

وكلمة (أمانة) جاءت نكرة لتشمل كل أمانة، فالسر أمانة يؤدى بكتمانه، والعمل أمانة يؤدى بإتقانه، والحكم أمانة يؤدى بالعدل فيه، والعبادة أمانة تؤدى بالإخلاص فيها والمواظبة عليها، والعقل أمانة توجب تزويده بالعلم، والمباعدة بينه وبين ما يخل بقدراته، والجسد أمانة توجب المحافظة عليها بالاعتدال، والابتعاد بها عما يتلفها من مخدرات ومسكرات، وغير ذلك مما حرمه الله ﷻ حفاظا على الفرد وحماية للمجتمع [٣]، وفي ذلك ما يوضح أثر أداء الأمانة في تحقيق السلم المجتمعي.

١١. تحديد الحقوق والواجبات داخل الأسرة المسلمة:

انطلاقا من شمولية خطبة حجة الوداع في دعوتها إلى الحفاظ على الأعراض وبيان حرمتها رسمت ملامح الأسرة المسلمة وضعت أطر العلاقة بين الزوجين، وحددت الحقوق والواجبات، لأن الأسرة بمثابة اللبنة الأولى في بناء المجتمع، كما نصت على الوصية بالنساء والإحسان إليهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف، وبينت مدى ارتباط ذلك بتقوى الله تعالى، وأمان الله، وشرع الله، فقد قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ لَكُمْ

---

[١] القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ١٢/ ٣١٥.

[٢] ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦٠٣. وابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر، أحكام القرآن، ٢/ ٥٠٣.

[٣] أحمد، صفاء الدين محمد، خطبة الوداع دروس ومبادئ، الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ع ٣٤٢، ص ٧١.

عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكُسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ الله، واستحللتم فروجهنّ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ» [١].

وفي هذا دليل على أن الناشز لا نفقة لها ولا كسوة، وأن الفاحشة هي البذاء ليس الزنا كما قال العلماء، ففسر النبي ﷺ الضرب، وبين أنه لا يكون مبرحا، أي لا يظهر له أثر على البدن يعني من جرح أو كسر [٢]، ولهذا احتاج تطبيق العقاب حال وقوع النشوز إلى تقوى الله تعالى، ومن هنا استهلت رواية مسلم أمر التوصية بالنساء بتقوى الله تعالى، ففي صحيح مسم عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال في خطبة يوم عرفة: «... فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ. فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ. وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ. فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ. وَلَهُنَّ عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» [٣].

فقد بين النبي ﷺ من خلال خطب حجة الوداع، حقوق الزوجين، والتي تحفظ التوازن بينهم، وبها تتم المودة والرحمة، ويتم بها السكن للرجل وتزدان بها حسن العشرة للزوجة.

فقد غرس الإسلام بين الزوجين روح المودة والمحبة، وأقام بينهما نوعا من الحقوق والواجبات المتبادلة، فكل حق لأحد الزوجين على صاحبه يصاحبه واجب يؤديه إليه، وبذلك تنمو الرابطة الزوجية، ويتحقق ميزان

---

[١] ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦٠٣.

[٢] ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦٠٣. وابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر، أحكام القرآن، ٢/ ٥٠٣.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، بَاب حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (١٢١٨).

التعادل بين الزوجين بما يكفل طيب الحياة ويعزز من أواصر السلم المجتمعي[١].

كما اشتملت على تقرير أوجه من تكريم الإسلام للمرأة، فلتقر المرأة عينا بهذه الحفاوة والإكرام والرعاية والإحسان، حيث خصها النبي ﷺ بهذه الوصية العظيمة في هذه الخطبة العظيمة في هذا المقام العظيم، لتعي أنها تعيش تحت ظلال الإسلام حياة عز وكرامة خلافا لما كانت عليه قبل الإسلام، فقد أنقذها الإسلام من براثن الرذيلة، وخلصها من حمأة الفساد وظلم المجتمع واضطهاده، لتعيش حياة الطهر والعفاف والستر والحياء والكرامة الإنسانية، بعيدا عن مواطن الريب والفتن والشر والفساد.

ولا تعد توجيهات الرسول الكريم ﷺ في حجة الوداع الخاصة بالمرأة صمام أمان للمرأة فحسب، بل إنها صمام أمان للمجتمع بأسره من أن تحل به الشرور والفتن، وأن تنزل به البلايا والمحن.

وإهمال تنفيذ توجيهاته ﷺ الخاصة بالمرأة نذير شؤم للمجتمع حيث يحل به الدمار وتتوالى عليه الشرور والأخطار، والتاريخ على طول مداه من أكبر الشواهد على ذلك، فقد كان من أكبر أسباب انهيار الحضارات وتفكك المجتمعات وتحلل الأخلاق وهدم القيم وفشو الرذائل وانتشار الجرائم هو تحلل المرأة من تعاليم الدين القويمة وإرشاداته الحكيمة وتوجيهاته المباركة[٢].

والمتتبع لنصوص خطب حجة الوداع يجد أنها كفلت العديد من الحقوق الأسرية، من أهمها ما يأتي:

الأول: النساء أمانة الله عند الأزواج، مستحلة فروجهن لهم بكلمة الله تعالى.

---

[١] العفيفي، محمد الصادق، خطبة حجة الوداع من المبادئ الإنسانية: مكانة المرأة وضمان حقوقها، مجلة الحج والعمرة، س ٤٩، ج ٧، ص ٣٧.

[٢] البدر، عبد الرزاق أحمد، دروس من خطبة الوداع، مجلة هدي الإسلام، ج ٥٠، ع ١٠، ص ٥٣، ٥٤.

الثاني: التقوى فيهن من أوصاف المؤمنين والوصية بهن خيرا لازم لكل منهم.

الثالث: أنهن كعوان عندهم، فعليهم أن يتقوا الله فيهن.

الرابع: على النساء أن لا يوطئن فروشهن غير أزواجهن ممن يكرهونه.

الخامس: إن أتين بفاحشة فللرجال أن يعضلوهن ويهجرونهن في المضاجع أو أن يضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنهم فعليهم رزقهن وكسوتهن بالمعروف [١].

وبذلك يتأكد أن تحقيق السلم المجتمعي مرهون بصلاح المرأة فهي أساس المجتمع، وفسادها سبب في فساد المجتمع.

السادس: كما اشتملت خطب حجة الوداع على جملة من تقرير الحقوق الأسرية، منها: الميراث وبيان أن الله تعالى هو الذي قسمه، وأنه لا وصية لوارث، لما في ذلك من ضياع الحقوق وإثارة الضغائن بين المستحقين للميراث مما يهدد الأمن والسلم المجتمعي.

كما قررت حق الطفل في الانتساب لأبيه، وتجريم الانتساب إلى غير الأب، وواقع الناس خير شاهد على المفاسد المجتمعية من جراء إنكار النسب، ونظرا لأن بعض الناس قد يتذرع في إنكاره النسب بجريمة الزنا نصت خطبة الوداع على تجريم فعل الزنا والتذكير بعقوبة ارتكابه، فقد جاء في مسند أحمد عَنْ عَمْرِو بْنِ خَارِجَةَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ بِمِنًى وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَهِيَ تَقْصَعُ بِجِرَّتِهَا، وَلُعَابُهَا يَسِيلُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، فَقَالَ: «إِنَّ الله قَسَمَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ، فَلَا تَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ. الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ، أَلَا وَمَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ رَغْبَةً عَنْهُمْ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: وَقَالَ سَعِيدٌ: قَالَ مَطَرٌ: «لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا» [٢].

---

[١] الأعظمي، ابن لثيق، نظرة في خطبة حجة الوداع " صوت الأمة، ج ٢٨، ع ٣، ١٩٩٦م، ص ٥٢.

[٢] أخرجه أحمد في مسنده، رقم (١٦٦٤٩).

ثالثا- طاعة ولي الأمر وأثرها في تحقيق السلم المجتمعي:

وجه النبي ﷺ نداءه إلى الحجيج بصيغة العموم «يَا أَيُّهَا النَّاسُ» مطالبا إياهم بتقوى الله تعالى والتزام السمع والطاعة لولي الأمر أيا كان لونه وجنسه، وأيا كانت هيبته ووجاهته من عدمها، وأيا كانت له محبة في القلوب أو لا، فقال ﷺ فيما أخرجه أحمد في مسنده من حَدِيثُ يَحْيَى بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ أُمِّهِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ اللهِ ﷻ» [١].

فطاعة الحاكم سبيل لتطبيق أحكام الدين والالتزام بشرع الله، ولو كان الحاكم عبداً حبشيّاً؛ فإنَّ في ذلك الصَّلاحَ والفلاحَ والنَّجاةَ في الدُّنيا والآخرة، فطاعة ولي الأمر واجبة ما دام يحكم بكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، ففي طاعته والتزام الجماعة وعدم الخروج عنها وعن طاعة ولي الأمر تحقيق للسلم المجتمعي، وصيانة له من التفرق والاختلاف التناحر والتضارب المؤدي إلى الفتن والهلاك للمجتمع بأسره، وفي عصيان أوامر ولي الأمر والخروج عن طاعته تهديد لوحدة الأمة وسلامة المجتمع وزعزعة لاستقراره، ومعوق لتقدمها ورقيها، بل انتكاسة وارتماء في أحضان الجاهلية التي أعلن النبي ﷺ في خطب حجة الوداع عن وضع كل أمورها تحت قدمه، حيث قال: «**أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ**»، وحذر من عاقبة الاختلاف والتناحر فقال: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بعض**».

ولا شك في أن إقران النبي ﷺ الأمر بطاعة ولي الأمر وتصديره له بتقوى الله له دلالته في أهمية دور الحاكم في إقامة الدين ووحدة المجتمع وسلامته، وختم النبي ﷺ وتعقيبه على ذلك بقوله: «ما أقام فيكم كتاب الله» يؤكد عدم الخروج عليه ما أقام لهم وفيهم كتاب الله تعالى، «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا مَا أَقَامَ لَكُمْ كِتَابَ اللهِ» [٢].

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده، رقم (١٨٠٨١).

[٢] أخرجه الترمذي في سننه، رقم (١٧٠٦).

وإذا كانت خطبة حجة الوداع قد أعلنت انتهاء عبادة الشيطان إلا أنها حذرت من اتباعه والوقوع في التحريش بينهم الذي ارتضاه الشيطان بديلا بعد يأسه في نيل العبادة منهم، كما أنها حذرت من الرجوع إلى الجاهلية مرة أخرى، وقد نصت السنة النبوية المطهرة على أن من شق عصا الطاعة وخرج على ولي أمر المسلمين وجماعتهم مات ميتة جاهلية، وبرأت منه ذمة الله ورسوله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عن النبي ﷺ؛ أنه قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً. وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ. وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا. ولا يتحاش مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فليس مني ولست منه» [١].

ولا شك في أن الخروج عن طاعة ولي الأمر شؤم على الفرد والمجتمع بل على الإنسانية كلها على كافة الأصعدة والمستويات الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية [٢].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال. وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، رقم (١٨٤٨)، ويراجع: الرميح، عبد الرحمن بن رميح، حرمة النفس الإنسانية في السنة النبوية، ١٦٢٠- ١٦٢٢.

[٢] يراجع: الكشان، المليح عبد الله، عصيان ولي الأمر وأثره في تهديد أمن الوطن، مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، ع ٣٣، ج ٤، ص ١٧٨٦- ١٧٩٠، ويراجع: الأحمدي، أيمن حامد، أثر طاعة ولي الأمر في حفظ الأمن المجتمعي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، ج ٣٩، ع ١، ص ٣١٨- ٣٢٠.

الخاتمة

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات:

أولا- النتائج:

بعد هذا التطواف في آفاق هذا الموضوع نخلص إلى النتائج الآتية:

١. التأكيد على أهمية السنة النبوية وبيان دورها في تعزيز الوحدة الإنسانية وإرساء قواعد السلم المجتمعي.

٢. أهمية الخطاب الشرعي في تشكيل الوعي المجتمعي، من خلال الإقناع العقلي والاستمالة القلبية والاستجابة الفعلية.

٣. تعد خطب حجة الوداع من أعظم الوثائق التاريخية التي أرست ركائز المجتمع الإسلامي خصوصا، وجاءت دستورا للإنسانية جمعاء يُستقي منها قيم حضارية وأبعاد إنسانية، لاشتمالها على جوامع الكلم وأصول الأحكام في السياسة والاقتصاد والأسرة والأخلاق والعلاقات العامة والنظام الاجتماعي، وهي بمثابة أول إعلان لحقوق الإنسان في التاريخ الإنساني.

٤. انطلاقا من أهمية خطبة حجة الوداع فإنه من حق كل مؤتمر إسلامي أو ندوة علمية أن يجعلها أساسا لتخطيطه وتنظيمه وقاعدة لمنهج إصلاحه.

٥. كان لخطب حجة الوداع أثرها البالغ في تأكيد وترسيخ دعائم الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي، وقد أعلن النبي ﷺ للإنسانية وحدة الدين مقرونا بوحدة الأصل، ومتضمنا وحدة التكوين المادي والروحي، ووحدة التكريم الإنساني، ووحدة التسخير الكوني لكل بني الإنسان، ووحدة الهدف والغاية، ووحدة المصير الإنساني.

٦. تعد الوحدة الإنسانية بمعانيها الشاملة مقوما أساسيا من مقومات السلم المجتمعي، ويرتبط بها ارتباطا وثيقا، فالناس جميعا أسرة واحدة يجمعهم رب واحد، وتجمعهم أبوة واحدة مشتركة، ولا شك في أن خطاب السنة النبوية في حجة الوداع بتقرير وحدة الدين ووحدة الجنس البشري يُكسب

السلم المجتمعي أعمق معانيه من خلال قيم الإيمان والمساواة والعدالة بين الناس.

٧. إذا كانت خطبة حجة الوداع قد غرست قيم الوحدة الإنسانية وجعلتها طريقا لتحقيق السلم المجتمعي، فإنها قطعت الطريق بين المسلمين وبين الانتكاس والوقوع في خصال الكفر مرة أخرى، فأكدت انتهاء عبادة الشيطان، ورسمت طريق الخلاص من سبيل الشيطان والتفرق والضلال متمثلا في الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فهما الضمانة الآكدة لتحقيق الأمن المجتمعي بين أفراد المجتمع بكل أطيافه.

٨. اشتملت خطبة حجة الوداع على العديد من التوجيهات التي تضمن تحقيق السلم المجتمعي وتعزز من وجوده ودوامه، على كافة مستويات السلم المجتمعي؛ المجتمع الإنساني، والمجتمع المسلم، والأسرة المسلمة، وذلك من خلال التأكيد على ضرورة حفظ الدين وبيان كماله وتمامه، ووضع كل شيء من أمر الجاهلية وإبطاله، وإبطال النسيء وتحريمه.

٩. أخذ التأكيد البالغ على حرمة الدماء والأموال والأعراض على المستوى الإنساني في خطبة الوداع صورا متعددة ووسائل شتى، جامعة بين أسلوب النداء، ووسائل التنبيه، وأسلوب التشبيه والتمثيل، وأسلوب الاستفهام التقريري، والتعريف بالمفاهيم، والحض على أداء الأمانة ورعاية حق المؤتمن، وتُوِّج ذلك كله بالتطبيق العملي للنبي ﷺ لصيانة الدماء والأموال، والتذكير بوحدة المصير ولقاء الله تعالى والسؤال عما قدم الإنسان من خير أو شر؛ وهو ما يسهم بشكل مباشر في تعزيز الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي.

١٠. تحديد الحقوق والواجبات داخل الأسرة المسلمة، على مستوى الزوج والزوجة وما بينهما من حقوق وواجبات متبادلة، والتوصية بالنساء خيرا، والتأكيد على كرامة المرأة وصلاحها لما فيه من صلاح المجتمع بأسره.

١١. اشتملت خطب حجة الوداع على جملة من تقرير الحقوق الأسرية لجميع أفراد الأسرة، منها: الميراث الذي قسمه الله، وأنه لا وصية

لوارث، وحق الطفل في الانتساب لأبيه، وتجريم الانتساب إلى غير الأب، وتجريم فعل الزنا وبيان عقوبة ارتكابه.

١٢. أصالة وفاعلية طاعة ولي الأمر وإبراز أثره في تحقيق السلم المجتمعي، وبيان أن الخروج عن طاعة ولي الأمر شؤم على الفرد والمجتمع، بل على الإنسانية كلها على كافة الأصعدة والمستويات الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ثانيا- التوصيات:

١. بذل المزيد من العناية والاهتمام ببحث القضايا التي تهم الإنسان في عاجله وآجله، وتحقق له صلاح الحال وفلاح المآل، ومن ذلك الوحدة الإنسانية والسلم المجتمعي.

٢. العمل على استدامة الندوات والمؤتمرات العلمية التي تقوم على ربط واقع الناس بكتاب ربهم وسنة نبيهم، واستلهام توجيهاتهما في حماية الإنسان وصيانته من كل أذى مادي أو نفسي.

٣. دوام الطاعة لولاة الأمر ما أقاموا دين الله تعالى، وعدم الانسياق وراء الدعوات المغرضة التي تؤلب الشعوب على ولاة أمورها، والواقع المتردي للمجتمعات التي انخدعت ببريق شعاراتها ليست عن مسامع الناس ومشاهداتهم ببعيد.

٤. استمرار عطاء واهتمام المؤسسات الدينية بكافة دوائرها بالخطاب الشرعي مضمونا وأداء، وبيان خطورته لما له من تأثير مباشر في تشكيل الوعي وتقويم السلوك. وبالله التوفيق.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

أولا- القرآن الكريم.

ثانيا- كتب السنة النبوية المطهرة.

ثالثا- المصادر والمراجع العامة:

١. ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثالثة، ٢٠٠٣ م.

٢. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٣. ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط الثانية، ١٩٥٥م.

٤. أحمد، صفاء الدين محمد، خطبة الوداع دروس ومبادئ، الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ع ٣٤٢، ١٩٩٤.

٥. الأحمدي، أيمن حامد، أثر طاعة ولي الأمر في حفظ الأمن المجتمعي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، ج ٣٩، ع ١، ٢٠٢٣م.

٦. الأصفهانى، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ.

٧. البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، دروس من خطبة الوداع، هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، الأردن، ج ٥٠، ع ١٠، ٢٠٠٧م.

٨. البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، خطب ومواعظ من حجة الوداع، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط الأولى، ٢٠٠٥م.

٩. بوشعالة، فتحية محمد، الأبعاد الحضارية والإنسانية في الخطاب النبوي من خلال خطبة حجة الوداع، الملتقى الدولي: الحديث النبوي وآليات

تحليل الخطاب، مجلة الآداب والحضارة الإنسانية، م ٢١، ع ٢، لسنة ٢٠٢٢م.

١٠. بوتشيش، إبراهيم القادري، مقومات السلم المدني وآليات تحصينه دراسة تأصيلية في ضوء السنة النبوية، ضمن بحوث الندوة العلمية الثامنة: السلم المدني في السنة النبوية مقوماته وأبعاده الحضارية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، ٢٠١٧م.

١١. البوشي، فرج محمد، حقوق الإنسان الأساسية في حجة الوداع، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق جامعة المنوفية، م ٥٦، ع ٤، ٢٠٢٢م.

١٢. الحقيل، إبراهيم بن محمد، خطب النبي صلي الله عليه وسلم في حجة الوداع، مقال منشور بموقع: طريق الإسلام، روجعت بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ٢٠٢٤م، رابط المقال:http://iswy.co/e10193

١٣. خياط، عبد الله، مواقف حاسمة في السيرة النبوية، خطبة حجة الوداع، مجلة الحج والعمرة، ع ١٩، لسنة ١٩٦٥م.

١٤. الرميح، عبد الرحمن بن رميح، حرمة النفس الإنسانية في السنة النبوية، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، ع ٤٣، ج، ١، يونيو ٢٠٢٤م.

١٥. الصوافي، سعيد بن راشد، الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير جامعة آل البيت، ١٩٩٩م.

١٦. الطالبي، محمد، دستور المدينة، مقال بمجلة الهداية، تصدرها إدارة الشعائر الدينية بتونس، ع ٣، لسنة ١٩٧٥م.

١٧. عباس، ناجي، السلم الاجتماعي مفهومه ومقوماته، مقال منشور بمركز عدل لحقوق الإنسان، روجع بتاريخ: ١٩/ ١٠/ ٢٠٢٤م، رابط المقال: https://adelhr.org/portal/5848

١٨. العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٦ هـ.

١٩. العفيفي، محمد الصادق، خطبة حجة الوداع من المبادئ الإنسانية: الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، مجلة الحج والعمرة، وزارة الحج، س ٤٩، ١٤١٥ هـ.
٢٠. عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط عالم الكتب، الأولى ٢٠٠٨م.
٢١. عمر، عبد الحي عبد القاسم، وآخرون، دعائم السلام الاجتماعي في الأسرة المسلمة، نشر دفاتر السياسة والقانون، ع ١٤، ٢٠١٦م.
٢٢. الغفيلي، راشد بن عامر بن عبد الله، من معاني خطبة حجة الوداع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، السعودية، ع ٢٣١، ١٤٣٢هـ.
٢٣. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٤. الكشان، المليح عبد الله، عصيان ولي الأمر وأثره في تهديد أمن الوطن، مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، ع ٣٣، ج ٤، ٢٠١٨م.
٢٥. الكفوي، أبو البقاء الحنفي الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٦. المبارك، تغريد بنت عبد العزيز سعد، التصوير البياني في خطبة حجة الوداع، مجلة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالمنصورة، ع ٢٩، ج ١، ٢٠١٠م.
٢٧. ناجي، علاء، دور التعددية في تعزيز السلم الاجتماعي، مقال منشور بشبكة النبأ المعلوماتية، روجع بتاريخ: ١٩/ ١٠/ ٢٠٢٤م، رابط المقال: https://annabaa.org/arabic/studies/11463
٢٨. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية.
٢٩. ي ه. ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الرابعة، ١٩٩٤م.

٣٠. يوسف، ابن عطا الله، أثر الإيمان والعبادات في تحقيق السلم الاجتماعي في ضوء السنة النبوية المطهرة، مجلة العلوم الإسلامية، ج ١، ع ١، ٢٠١٩.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

'awla– alquran alkarim.

thania– kutub alsunat alnabawiat almutaharati.

thalitha– almasadir walmarajie aleamatu:

1- abn alearabii, muhamad bin eabd allah 'abu bakr, 'ahkam alqurani, rajae 'usulah wakharaj 'ahadithah wellaq ealayhi: muhamad eabd alqadir eataa, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, t althaalithati, 2003 ma.

2– abin fars, 'ahmadu, muejam maqayis allughati, tahqiqu: eabd alsalam harun, dar alfikri, 1979m.

3– abin hishami, eabd almalak, alsiyrat alnabawiat liabn hishami, tahqiqu: mustafaa alsaqaa, sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabi alhalabii wa'awladuh bimasri, t althaaniati, 1955m.

4– 'ahmadu, safa' aldiyn muhamada, khutbat alwadae durus wamabadiu, alwaey al'iislamia, wazarat al'awqaf walshuwuwn al'iislamiati, alkuayti, e 342, 1994.

5– al'ahmadi, 'ayman hamid, 'athar taeat walii al'amr fi hifz al'amn almujtamiei, majalat kuliyat aldirasat al'iislamiat walearabiat lilbanat bial'iiskandariati, j 39, e 1, 2023m.

6– al'asfuhanaa, alraaghibi, almufradat fi gharayb alqurani, tahqiqu: safwan aldaawudii, dar alqalami, aldaar alshaamiatu, dimashq bayrut, t al'uwlaa 1412hi.

7– albadr, eabd alrazaaq bin eabd almuhsin, durus min khutbat alwadaei, hady al'iislami, wizarat al'awqaf walshuwuwn walmuqadasat al'iislamiati, al'urdun, j 50, e 10, 2007m.

8- albadr, eabd alrazaaq bin eabd almuhsin, khatab wamawaeiz min hujat alwadaei, maktabat almalik fahd alwataniati, t al'uwlaa, 2005m.

9- bushaealatu, fatahiat muhamad, al'abead alhadariat wal'iinsaniat fi alkhitab alnabawii min khilal khutbat hujat alwadaei, almultaqaa alduwali: alhadith alnabawii waliat tahlil alkhatabi, majalat aladab walhadarat al'iinsaniati, m 21, e 2, lisanat 2022m.

10- butshish, 'iibrahim alqadri, muqawimat alsilm almadanii waliaat tahsinuh dirasat tasiliat fi daw' alsunat alnabawiati, dimn buhuth alnadwat aleilmiat althaaminati: alsilm almadanii fi alsanat alnabawiat muqawimatih wa'abeadih alhadariati, kuliyat aldirasat al'iislamiat walearabiat bidbi, 2017m.

11- albushi, faraj muhamad, huquq al'iinsan al'asasiat fi hijat alwadaei, majalat albuhuth alqanuniat waliaqtisadiati, kuliyat alhuquq jamieat almanufiati, m 56, e 4, 2022m.

12- alhaqila, 'iibrahim bin muhamadi, khatab alnabiu saliy allah ealayh wasalam fi hujat alwadaei, maqal manshur bimawqiei: tariq al'iislamu, rujaeat bitarikh 20/ 10/ 2024m, rabit almaqali: http://iswy.co/e10193

13- khayaati, eabd allah, mawaqif hasimat fi alsiyrat alnabawiati, khutbat hujat alwadaei, majalat alhaji waleumrati, e 19, lisanat 1965m.

14- alramihi, eabd alrahman bin rumayhin, hurmat alnafs al'iinsaniat fi alsunat alnabawiati, majalat kuliyat 'usul aldiyn waldaewat bialmanufiati, e 43, ju, 1, yuniu 2024m.

15- alsawafi, saeid bin rashidi, alwahdat al'iinsaniat fi alquran alkarimi, risalat majistir jamieat al albit, 1999m.

16- altaalbi, muhamad, dustur almadinati, maqal bimajalat alhidayati, tusdiruha 'iidarat alshaeayir aldiyniat bitunus, e 3, lisanat 1975m.

17- eabas, naji, alsilam aliajtimaeiu mafhumuh wamuqawimatuhi, maqal manshur bimarkaz eadl lihuquq al'iinsani, rujie bitarikhi: 19/ 10/ 2024m, rabit almaqali: https://adelhr.org/portal/5848

18- aleuthaymin, muhamad bin salihin, tafsir alquran alkarimi, muasasat alshaykh muhamad bin salih aleuthaymin alkhayriati, almamlakat alearabiat alsueudiati, t 1, 1436 hu.

19- aleafifi, muhamad alsaadiq, khutbat hujat alwadae min almabadi al'iinsaniati: al'iielan al'iislamii lihuquq al'iinsani, majalat alhaji waleumratu, wizarat alhaji, s 49, 1415 hu.

20- eumra, 'ahmad mukhtar eabd alhamidi, muejam allughat alearabiat almueasirati, t ealam alkutub, al'uwlaa 2008mi.

21- eumr, eabd alhayi eabd alqasima, wakhrun, daeayim alsalam aliajtimaeii fi al'usrat almuslimati, nashr dafatir alsiyasat walqanuni, e 14, 2016m.

22- alghafili, rashid bin eamir bin eabd allah, min maeani khutbat hujat alwadaei, wizarat al'awqaf walshuwuwn al'iislamiati, alsueudiati, e 231, 1432h.

23- alqurtibi, 'abu eabd allah, muhamad bin 'ahmad al'ansari, aljamie li'ahkam alqurani, tahqiq 'ahmad albarduni, wa'iibrahim 'atfish, dar alkutub almisriatu, alqahirati, 1964m.

24- alkishan, almalih eabd allah, eisyan walii al'amr wa'atharuh fi tahdid 'amn alwatan, majalat kuliyat alsharieat walqanun bitanta, e 33, j 4, 2018m.

25- alkufwi, 'abu albaqa' alhanafiu alkuliyaat muejam fi almustalahat walfuruq allughawiati, tahqiqu: eadnan darwish, muhamad almasri, nashr muasasat alrisalati, bayrut.

26- almubarki, taghrid bint eabd aleaziz saedu, altaswir albayaniu fi khutbat hujat alwadaei, majalat kuliyat allughat alearabiat jamieat al'azhar bialmansurati, e 29, j 1, 2010m.

27- naji, eala', dawr altaeadudiat fi taeziz alsilm aliajtimaeii, maqal manshur bishabakat alnaba almaelumatiati, rujie bitarikh: 19/10/2024m,rabitalmaqal:ttps://annabaa.org/arabic/studies/11463

28- alnawawi, 'abu zakariaa muhyi aldiyn yahyaa bin sharaf, alminhaj sharh sahih muslim bin alhajaju, dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut, t althaaniati.

29- y hi. ji. walaz, maealim tarikh al'iinsaniati, tarjamat eabd aleaziz tawfiq jawid, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, t alraabieati, 1994m.

30. yusif, abn eata allahi, 'athar al'iiman waleibadat fi tahqiq alsilm aliajtimaeii fi daw' alsunat alnabawiat almutahirati, majalat aleulum al'iislamiati, j 1, e 1, 2019.